

فلسفة الظاهرة العلمية

في فكر الإمام الصادق (ع)

أ.د. حميد سراج جابر

فلسفة الظاهرة العلمية

في فكر الإمام الصادق (عليه السلام)

ومعطياتها الإثباتية والوعظية

الكتاب: فلسفة الظاهرة العلمية في فكر الإمام الصادق (عليه السلام) ومعطياتها الإثباتية والوعظية

تأليف: الأستاذ الدكتور حميد سراج جابر

الطبعة الأولى: ٢٠١٥

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين



طباعة. نشر. توزيع

دمشق/ جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠- ٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com

Fecebook:Dar Tamoz

فلسفة الظاهرة العلمية

في فكر الإمام الصادق (عليه السلام)

ومعطياتها الإثباتية والوعظية

تأليف

الأستاذ الدكتور حميد سراج جابر

أستاذ الفكر الإسلامي في كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة البصرة

المقدمة

تعود فكرة تأليف هذا الكتاب إلى سنوات ثلاث مضت ، إذ أن تخصصي الأكاديمي في شخصية الإمام علي عليه السلام ونهج البلاغة قد طغى على كتاباتي ، غير أن جزءاً من هذه الكتابات كانت عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بوصفه نفس الإمام علي عليه السلام ، بنص القرآن الكريم (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)(1) والجزء الأكبر من الدراسة كان عن الإمام علي عليه السلام نفسه فضلاً عن بعض الدراسات عن الزهراء والحسنين عليهما السلام ، وهم بمجموعهم يمثلون أصحاب الكساء ، ولكن في عام ٢٠١٢ تمت دعوتي لتقديم بحث في ندوة خاصة عن الإمام الصادق عليه السلام بذكرى استشهاده ، وكانت الدعوة من الأخ السيد أيوب الخرسان (حفظه الله تعالى) ونخبة خيرة من المؤمنين في جامع الإمام

---

(١) آل عمران /٦١.

الحسن عليه السلام/ منطقة حي الرسالة في كرمة علي(عليه السلام) ، ولم تكن تلك الدعوة في الحقيقة بالنسبة لي مجرد طلب مشاركة وإنما هي بمثابة صدمة أشعرتني بذلك التقصير بحق الإمام الصادق وباقي أئمة أهل البيت عليهم السلام لذا فحينما بدأت بالدراسة وجدت نفسي ومن حيث لا أشعر ميالاً نحو الجوانب العلمية في شخصية الإمام الصادق عليه السلام ، متأثراً بتخصصي عن الجوانب نفسها عند الإمام علي عليه السلام ، ولكن بصورة تختلف من حيث المنهجية والطرح لخصوصية مدرسة الإمام الصادق عليه السلام.

وفعلاً توجهت لتأليف كتاب عن الإمام الصادق عليه السلام منذ ذلك اليوم ، حتى أنجز بحمد الله تعالى في نهاية هذه السنة ٢٠١٤ وقد تخلل هذه السنوات مشاركتي في ثلاثة مؤتمرات علمية عن الإمام الصادق عليه السلام أو مؤتمر عالمي في العتبة الكاظمية المقدسة عن أئمة البقيع فكانت مشاركتي فيه عن الإمام الصادق عليه السلام ، والمؤتمران الآخران خصصا عن الإمام الصادق عليه السلام ، وقد أقيما في محافظة ميسان بالتعاون بين جامعة ميسان ومؤسسة شهيد المحراب ، فضلاً عن الندوة التي أشرنا إليها في عام ٢٠١٢ وكذلك ٢٠١٤ في الزمان والمكان نفسهما ، وقد حاولت بذلك رفع بعض التقصير نتيجة هذه الغفلة ، وبيان الأصل العلمي للكثير من الظواهر قبل أن تستقر على ما هي عليه اليوم.

فكان هذا الكتاب الذي يحمل أهدافاً دينية (إثباتية ووعظية)

وعلمية (فلسفة الظاهرة) تحت عنوان(فلسفة الظاهرة العلمية في فكر الإمام الصادق عليه السلام ومعطياتها الإثباتية والوعظية) والذي يدرس فلسفة الظواهر العلمية (سببها وهدفها) سواء كانت الكونية والجغرافية أو البايلوجية وما يتعلق بطبيعة الخلقة الإنسانية ، وما يرتبط بذلك من إثبات وجود الله سبحانه وتعالى ، من بيان ذلك الترابط والتوازن في هذه الظواهر وفق الأسباب أو الفلسفة المكونة والراعية لها التي بيّنها الإمام الصادق عليه السلام ، فضلاً عن الهدف الوعظي الخاص لفلسفة كل ظاهرة والهدف العام للظواهر بشكلها الإجمالي وطبيعة تركيبها وعملها ، ومن كل ذلك فإن النتيجة العلمية والطرح الخاص ببيان الطبيعة التطبيقية لتلك الظواهر ، هما اللذان أفصحا عن الناحية العلمية في فكر الإمام الصادق عليه السلام وجميع متعلقاتها.

وقد حاولت أن أبدأ موضوع الكتاب بشكل غير تقليدي عن شخصية الإمام عليه السلام العلمية ، لسببين: الأول ، هو بداهة المطروح عن شخصية الإمام عليه السلام ونسبه وشرفهما لا سيما وأنه من أئمة أهل البيت عليهم السلام وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام) ، والثاني حتى لا نتهم(ونحن متهمون) بالأدلجة في الرؤية والطرح ، وعلى الرغم من عدم التفاتنا لتلك الاتهامات، إلا أننا حاولنا في الفصل التعريفي أن ننيب عنّا من يطرح هذه الشخصية العلمية بأسلوبه العصري والعلمي المعتمد بوصفه مقياساً عند الآخرين في الميدان

العلمي وهو ما يخصنا هنا ، وهم أرباب هذا العلم (حسب فهم الآخرين) ونقصد علماء الغرب وذلك بدراسة رؤيتهم لشخصية الإمام عليه السلام العلمية وتحليلها.

فيما كان الجانب الآخر من الكتاب يخص فلسفة الظواهر الكونية والجغرافية في فكر الإمام الصادق عليه السلام ، ومن هذا المنطلق فقد بحثنا في أسباب الظواهر الكونية والجغرافية وتفسيراتها وفلسفتها في نظر الإمام عليه السلام ، إذ تنوعت هذه الفلسفة بحسب طبيعة الظاهرة ، فنجد أن الإمام عليه السلام يذكر الفلسفة إلى جانب الأثر الناتج في كلتا الحالتين سواء وجود الظاهرة نفسها أم العكس ، وأن الإمام عليه السلام بعد أن يبين فلسفة الظاهرة يحتمل للسامع وجود العكس منها مبيناً الآثار السلبية التي ستحدث ومن ثم يبين قدرة الله تعالى على التنظيم والتوازن بما يخدم الإنسان.

وقد يتصور البعض أن تفسيرات الإمام عليه السلام وليدة الصدفة غير أن المتتبع للدراسة يكتشف أن الإمام عليه السلام كان يملي هذه الأفكار بشكل مباشر فهي ليست أفكاراً ضمنية — مع العلم إننا مع القول بعلمية هذه الأفكار حتى وإن كانت ضمنية كما نراها في نهج البلاغة– وإنما هي محاضرات (إن صح التعبير) أملاها الإمام عليه السلام على طلابه ومنهم المفضل بن عمر الذي جمعها في كتاب اسمه التوحيد ، هذا فضلاً عن المناسبات الآخر الكثيرة.

وكان الجانب الآخر الذي درس في هذا الكتاب عن فلسفة

التركيب البايلوجي للإنسان في فكر الإمام الصادق عليه السلام ، فمن المعلوم أن الإمام عليه السلام مثل الصورة الناصعة للمنهج العلمي بكل أطرافه سواء ما كان يتعلق بالعلوم البحتة أم العلوم المتعلقة بها ، فالعلم الخاص بتركيبة جسم الإنسان وتكويناته البايلوجية لم يكن علماً غريباً عن توجه الإمام الصادق عليه السلام ، إذ أنه عليه السلام تناول كل تفاصيله دون أن يترك مجالاً أو فجوة يتميز بها من جاء بعده ، وهذا الأمر هو من أساسيات مدرسة الإمام عليه السلام ، لأن ما يخص هذا الموضوع درّس لتلاميذ هذه المدرسة حتى عرف به الإمام عليه السلام من ناحية تصنيفه بوصفه علماً جديداً على الواقع آنذاك وعلى العقليات المنغلقة على علوم كلاسيكية إذا جاز أن نسميها علوماً ، لأنها لا تخرج في أغلب الأحيان عن العلوم الدينية وبعض الإشارات العشوائية غير المترابطة التي ثبت عدم صحتها بعد أن تصدى الإمام عليه السلام للموضوع.

والأمر الذي يزيد أهمية طرح الإمام عليه السلام هو أنه لم يقتصر على وصف التركيب البايلوجي لجسم الإنسان وبيان جزئياته التي تحتاج إلى مختبر فحسب ، وإنما تحدث عن فلسفة هذا التركيب أي أسبابه وعلله ، وهذه الفلسفة هي التي درست وسلط الضوء عليها لبيان عظيم قدرة الله تعالى بهذه التكوينات وبيان ذلك العلم الإلهي أللدني من الإمام الصادق عليه السلام ، الذي لم يترك الأمر دون ذكر محدداته بل تناول جزئياته كافة على اختلاف أشكالها.

وختاماً نسأله تعالى أن يوفقنا لخدمة محمد وآل محمد ويشرفنا بالكتابة عنهم لما فيه خير الإنسانية جمعاء ، وأن يكون عملنا خالصاً لوجهه الكريم ، ويتقبل منّا هذا اليسير ، ويرزقنا شفاعة الإمام الصادق عليه السلام ، (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ)[1] فنقول يا ربنا أن إمامنا جعفر بن محمد الصادق.

---

(١) الإسراء / ٧١.

شخصية الإمام الصادق (عليه السلام) وسيادته العلمية في عيون علماء الغرب

مّر في مقدمة الكتاب أننا حاولنا التعريف بشخصية الإمام عليه السلام بشكل غير تقليدي بأن ينيب عنّا من يطرح هذا الشخصية العلمية بأسلوبه العصري والعلمي المعتمد بوصفه مقياساً عند الآخرين ، ولعل أبرز وأهم وأصدق مصدر لذلك هو ما ورد في المؤتمر الدولي الذي عقد في جامعة إستراسبورغ الفرنسية عام ١٩٦٨ عن الإمام الصادق عليه السلام والذي شارك فيه عدد كبير من أكابر العلماء الغربيين الذين ذاع صيتهم في كل جامعات العالم ، وهم من أشهر الجامعات مثل جامعة السربون وجامعة ليون في فرنسا ، وجامعة بروكسل في بلجيكا ، وجامعة لندن في بريطانيا ، وجامعة روما في إيطاليا ، وجامعة هامبورغ في ألمانيا ، وجامعة شيكاغو وجامعة كاليفورنيا في أمريكا ، وجامعة بازل في سويسرا ، وغيرها.

وقد توصلت البحوث المقدمة إلى نتائج يمكن أن نعدها مقدمة لإحقاق الحق إذ اختلفت هذه الأبحاث عن السطحية التي تعاملت

بها المصادر العربية مع أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وأوردت مجموعة من الأفكار التي بإثباتها أثبتت إمامة الأئمة عليهم السلام وإن كان هؤلاء لا يعون ذلك ، وإنما المنهج العلمي في الطرح هو الذي أثبت ما كنا نتمنى أن يثبته ويشير إليه المصدر العربي.

وأول الأمور التي أثبتها المؤتمر هو أن الإمام الصادق عليه السلام لم يستق علمه من معلم أو مدرسة ، وهذا ينطبق على الأئمة الآخرين عليهم السلام ، فقد طرحت بعض البحوث غياب الروايات عن المعلمين والمدارس التي تعلم بها الإمام عليه السلام ، ولكنهم طرحوا فكرة أن الإمام يتعلم على يد أبيه الإمام ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة بفعل تعدد الآباء دون مدرسة حتى وصلوا إلى إيراد فكرة الإمامية القائلة بالعلم أللدني وطرحوها على أساس الحل الوحيد الذي ليس هناك ما يقابله ، وإن كانوا يستصعبون قبوله.

وقد كان طرحهم هذا من باب الإشارة إلى أهمية علم الإمام الصادق عليه السلام وتفرده وليس من باب الإساءة وهي النتيجة الأولى التي يمكن استحصالها بوصفها مقدمة لإحقاق الحق.

الأمر الآخر الذي طرحه من شارك في هذا المؤتمر هو مطابقة ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام ودرّسه في مدرسته من أمور علمية مع أحدث علوم العصر آنذاك وهم مستغربين من ذلك ، حتى توصلوا إلى نتيجة يمكننا أن ندركها تقوم على أساس أن الإمام الصادق عليه السلام هو أول من اكتشف هذه العلوم ، وهي كثيرة تخص الفلك ، والنظريات العلمية الفيزيائية والطبية وغير ذلك

الكثير من العلوم التي تناولتها البحوث المتعددة والتي يصعب دراستها بالكامل لتشعبها ، وقد حاولنا دراسة الإيحاءات والأفكار لبيان الصورة المقدمة عن الإمام الصادق عليه السلام والتي اختلفت عما قدمته المصادر العربية لاسيما بعد الطرح العلمي والمنهجي في هذا المؤتمر.

وعلى العموم فإن كل هذه الموضوعات نوقشت نقاشاً مستفيضاً في البحث بما ينسجم وأبعادها المتحققة في طرح علماء الغرب عن الإمام الصادق عليه السلام والنتائج المثيرة التي يمكن الوصول إليها وهي تمثل اعترافات ضمنية ومباشرة بأحقية أئمة أهل البيت عليهم السلام في القيادة العلمية وفي الجوانب الأخر وغير ذلك.

إشكالية مصدرية علم الإمام عليه السلام في طروحات بحوث مؤتمر استراسبورغ.

من الطبيعي أن تكون مصدرية علم أي إمام مبحوث في فكر غير المنتمين لمدرسة أهل البيت محل إشكال ومنبعاً للرؤى والاختلافات لاسيما إذا ما كانت مناسبة الحديث هي بيان المستوى غير المألوف للنبوغ العلمي لشخصياتهم عليهم السلام لذا نجد أن نوعية البحث في المؤتمر أثبتت أن علم الأئمة عليهم السلام من نوع آخر غير النوع المألوف وهي نتيجة مهمة ينبغي التركيز عليها ، ويمكن أن نقسم طبيعة طرحهم للمصدرية وفق الأطر الآتية:

الإطار الأول: وهو أن بعض البحوث كانت تتساءل عن مصدر علم الإمام الصادق عليه السلام لكن بحثها كلاسيكي وهو أنها تركز

على تأثيرات يونانية أو قبطية أو يهودية على أساس أن علم المسلمين لم يصل إلى هذا المستوى آنذاك.[1] وهذا التوجه فيه جملة نواقص:

١- لا توجد رواية واحدة تثبت أن الإمام الصادق عليه السلام درس هذه العلوم في مدرسة معينة أو على يد معلم معين.

٢-عدم ظهور الترجمة آنذاك ومن ثم عدم إمكان وصول العلوم الأجنبية في ذلك العصر.

٣-أن الأئمة عليهم السلام من آباء وأجداد الإمام الصادق عليه السلام قد سبقوه في مثل هذه العلوم وحينها حتى لو سلمنا ولن نسلم بتأثره بالعلوم الأجنبية فبمن تأثر سابقوه من الأئمة عليهم السلام؟

الإطار الثاني: أنه عليه السلام تعلم عن آبائه ولا يعرف مصدر علمهم لكنه يجب أن يكون علماً كلاسيكياً عن طريق معلمين لا سيما أن هناك تطوراً في بعض البلدان.[2] وهذا الإطار فيه من النقص ما يفوق نقص الإطار الأول وهو أن الاعتراف بوجود إمام عن إمام دليل على أن الأمر يخرج عن المفهوم الكلاسيكي في تلقي العلوم.

الإطار الثالث: هو اعتراف الباحثين بأن كل السبل الكلاسيكية في تحديد هذا الأمر هي منتفية ، وأن الطريق الوحيد هو تبني

---

(١) دار الفاضل، الإمام الصادق ص١٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٦١.

المفهوم الإمامي في ذلك ونقصد الإيمان بأن علم الأئمة هو علم لدني بما يعرف بمصطلح الزق ، ولكنهم مع ذلك قالوا أن طبيعة المنهج التأريخي تقتضي عدم الاعتراف بذلك.(١)

وليس هناك ريب في أن مصدرية علم الإمام الصادق أللدنية معروفة وواضحة لهم ، إلا أن الأمر يدخل في باب الإعجاز بالنسبة لفكرهم لذا نرى الإمام عليه السلام يصرح بذلك فقد حضر عليه السلام مجلس المنصور يوماً وعنده رجل من الهند يقرأ كتب الطب فجعل أبو عبد الله عليه السلام ينصت لقراءته فلما فرغ الهندي قال له يا أبا عبد الله أتريد مما معي شيئاً ، قال لا فإن معي ما هو خير مما معك قال وما هو؟ قال أداوي الحار بالبارد والبارد بالحار والرطب باليابس واليابس بالرطب وأرد الأمر كله إلى الله عز وجل ، وأستعمل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وأعلم أن المعدة بيت الداء وأن الحمية هي الدواء وأعود البدن ما اعتاد ، فقال الهندي: وهل الطب إلا هذا؟ فقال الصادق عليه السلام أفتراني من كتب الطب أخذت قال نعم ، قال: لا والله ما أخذت إلا عن الله سبحانه.(٢)

وهنا كلام الإمام عليه السلام واضح من أن مصدر أهل البيت هو عن الرسول صلى الله عليه وآله من الله سبحانه وتعالى.

---

(١) دار الفاضل ،الإمام الصادق ص٧٣.

(٢) الشيخ الصدوق ،علل الشرائع ١/ ٩٨ – ٩٩.

علوم الإمام الصادق عليه السلام الكاشفة عن شخصيته عند علماء الغرب

المحور الفلكي

كانت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام المدرسة الأولى التي أصبحت تدرس العلوم التي عدها بعضهم من مختصات الآخرين الذين لم يتمكنوا من التحقيق النهائي فيها ، بل أثبت العلم الحديث فشلها ، ومنها الجوانب الفلكية وما يخص الكواكب ، غير أن عدم وصول هذه العلوم أساساً في زمن الإمام الصادق عليه السلام يرد بشكل سهل على هؤلاء ، إذ أن مدرسة الإمام عليه السلام كانت وحيدة وفريدة في الوقت نفسه ، ومتطابقة في معلوماتها مع أحدث علوم اليوم.

وقد أدرك بعض من شارك في مؤتمر استراسبورغ هذه الحقيقة وراح يسطر كلماته عن هذا العلم في فكر الإمام الصادق وكأنه يتكلم بعد الثورة التكنولوجية في القرن العشرين ، وعليه يمكننا تحديد السيادة الفكرية لمدرسة الإمام الصادق في هذا الإطار وفق ما يأتي:

أولاً: شروط الثقافة والعلم في ميدان الفلك

لقد حاجج الإمام عليه السلام بعض من يسمى علماء فلك في ذلك الزمان مبيناً المقياس الذي بموجبه يصنف العلماء ، ولعل أبرز المقاييس التي حددها الإمام عليه السلام هي:

١- معرفة الآثار الناجمة عن الكواكب وضوءها ، إذ تطالعنا المصادر برواية عن إفحام الإمام عليه السلام لأحد علماء اليمن حينما دخل عليه فقال له عليه السلام(مرحباً بك يا سعد ، فقال الرجل بهذا الاسم سمتني أمي وقل من يعرفني به ، فقال صدقت يا سعد المولى ، فقال جعلت فداك بهذا كنت ألقّب ، فقال لا خير في اللقب أن الله يقول (ولا تنابزوا بالألقاب) ما صناعتك يا سعد؟ قال أنا من أهل بيت ننظر في النجوم ، فقال: كم ضوء الشمس على ضوء القمر درجة؟ قال: لا أدري ، قال: فكم ضوء القمر على ضوء الزهرة درجة؟ قال: لا أدري ، قال: فكم للمشتري من ضوء عطارد؟ قال: لا أدري ، قال: فما اسم النجوم التي إذا طلعت هاجت البقر؟ قال: لا أدري ، فقال: يا أخا أهل اليمن عندكم علماء؟ قال: نعم أن عالمهم ليزجر الطير ويقفو الآثر في الساعة الواحدة مسيرة سير الراكب المجد ، فقال(ع): أن عالم المدينة أعلم من عالم اليمن لأن عالم المدينة ينتهي إلى حيث لا يقفو الآثر ويزجر الطير ويعلم ما في اللحظة مسيرة الشمس فقطع اثنا عشر برجاً واثنا

عشر بحراً واثنا عشر عالماً ، قال: ما ظننت أن أحداً يعلم هذا ويدري).[1]

وقد حدد الإمام عليه السلام هنا صورة العالم الذي يستحق وفق هذا المقياس أن يدعى بذلك ، وفق مفهوم بيان الجزئية والآثار والترابط الوثيق بين أجزاء العلم الواحد ، كما أنه عليه السلام فرق بين نوعين من العلماء:

النوع الأول هو نوع قاصر لأنه نوع اكتسابي مثله علماء الفلك.

والنوع الثاني هو ما مثله عالم المدينة وكأن الإمام عليه السلام يقصد به نفسه ، وهو عليه السلام من أصحاب العلم أللدني علم أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ونستطيع أن نستنتج أن الإمام عليه السلام أراد الإشارة أيضاً إلى مظلومية أئمة أهل البيت عليهم السلام بين أناس لا يعرفون قدرهم في كل المجالات ومنها المجال العلمي

٢- الشمولية العلمية إذ اشترط الإمام عليه السلام على العالم أن يكون ملماً في كل أطراف علمه لا أن يدعي ذلك تقصيراً أو قصوراً ، وربما يتوضح هذا الأمر بشكل جلي حينما نورد رواية عن هشام الخفاف وهو عالم عراقي آنذاك في هذا

---

(١) الطبرسي، الاحتجاج ١٠٠/٢، ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب ٣٧٩/٣، المجلسي، البحار ١١٣/١٦.

الميدان إذ يقول(قال لي أبو عبد الله(عليه السلام): كيف بصرك بالنجوم؟ قال: قلت: ما خلفت بالعراق أبصر بالنجوم مني ، فقال: كيف دوران الفلك عندكم؟ قال: فأخذت قلنسوتي عن رأسي فأدرتها قال: فقال: إن كان الأمر على ما تقول فما بال بنات النعش والجدي والفرقدين لا يرون يدورون يوماً من الدهر في القبلة؟ قال: قلت: هذا والله شيء لا أعرفه ولا سمعت أحداً من أهل الحساب يذكره ، فقال لي: كم السكينة من الزهرة جزءاً في ضوئها؟ قال: قلت: هذا والله نجم ما سمعت به ولا سمعت أحداً من الناس يذكره ، فقال: سبحان الله فأسقطتم نجماً بأسره فعلى ما تحسبون؟! ثم قال: فكم الزهرة من القمر جزءاً في ضوئه؟ قال: قلت: هذا شيء لا يعلمه إلا الله عز وجل ، قال: فكم القمر جزءاً من الشمس في ضوئها؟ قال: قلت: ما أعرف هذا؟ قال: صدقت ، ثم قال: ما بال العسكريين يلتقيان في هذا حاسب وفي هذا حاسب فيحسب هذا لصاحبه بالظفر ويحسب هذا لصاحبه بالظفر ، ثم يلتقيان فيهزم أحدهما الآخر فأين كانت النحوس؟ قال: فقلت: لا والله ما أعلم ذلك ، قال: فقال: صدقت إن أصل الحساب حق ولكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق كلهم).[1]

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي ٨/ ٣٥١ – ٣٥٢. وينظر ابن شهراشوب، =

وهنا يتضح أن علم الإمام عليه السلام هو من النوع الشمولي الذي عده شرطاً أساساً في محاججة بعض المثقفين بعلوم معينة لذا نجد أن تعجب هؤلاء من شمولية علم الإمام عليه السلام يضع مقياساً جديداً للعلم لم يكن لغير أئمة أهل البيت علم به أو درجة من درجاته ، كما نفهم من الخطاب سالف الذكر.

ثانياً: إبطال النظريات السابقة وإيجاد البديل الثابت

من أبرز الصور التي يمكن أن ندرسها في هذا الإطار أي الإطار الكوني والفلكي وعلم النجوم والتسميات الأخرى ، هو موضوع ما كان مطروحاً على الساحة آنذاك من علماء يعدون من الكبار في هذا الميدان ، إذ نجد أن الإمام عليه السلام بدأ يدرس في مدرسته على أساس جديد يتوافق مع العلم أللدني الذي كان يحمله لكنه بلا ريب يتناقض ويختلف مع ما كان يسود في ذلك الوقت من نظريات لذا فإن الدراسة الدقيقة تثبت أن الإمام عليه السلام قد أبطل هذه النظريات وجاء بالبديل الناجع الذي توافق مع علوم عصرنا هذا ، كما أثبت ذلك العلماء الذين حضروا مؤتمر استراسبورغ ويمكن دراسة هذه الآراء كما يأتي:

١- نظرية أصل الكون رأى أرسطو أن أصل الكون يتألف من

=مناقب آل أبي طالب ٢٨٧/٣ ، المجلسي ، البحار ٢٤٢/٤٧ ، الحر العاملي ، الوسائل ١٤٢/١٧.

عناصر أربعة هي التراب والماء والهواء والنار ، وقد أبدى الإمام عليه السلام استغرابه ، لأن أرسطو لم ينتبه إلى أن العناصر الأربعة ومنها التراب ليست عناصر بسيطة غير قابلة للتجزئة وقال أن التراب مركب من أجزاء وعناصر كثيرة ، منها الحديد وهو بدوره مركب من أجزاء كل جزء منها يعد عنصراً مستقلاً.[١]

٢- مكونات الهواء إذ أن أرسطو ومن جاء بعده كانوا يعدون الهواء من العناصر البسيطة ، إلا أن الإمام عليه السلام قال أن الهواء ليس عنصراً بسيطاً بل هو مركب من أجزاء وعناصر شتى.[٢] وبقي العلماء إلى القرن الثامن عشر إذ اكتشف العلماء العلماء أن الأوكسجين فعلاً هو العنصر الأساس في التنفس مع وجود أجزاء أخرى غير مؤثرة ، بينما قال الإمام عليه السلام بتأثيرها كلها في التنفس.[٣] إلا أنه في منتصف القرن التاسع عشر أثبت كلام الإمام الصادق عليه السلام بالكامل بعدما تبين للعلماء أن عنصر الأوكسجين اللازم لتنقية الدم واستمرار الحياة عند الإنسان ليس على هذه الدرجة من الفائدة والنفع للكائنات الأخرى ، إذ تبين أن هناك كائنات لا تقوى على

---

(١) دار الفاضل ،الإمام الصادق ص١١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٦.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٦.

استنشاق الأوكسجين الخالص مدة طويلة ، لأن خلايا أجهزتها التنفسية تتأكسد وتتآكل بتفاعلها مع الأوكسجين ، أي أن هذه الخلايا تحترق بفعل الأوكسجين الخالص.[1]

والأوكسجين بحد ذاته لا يحرق ولكنه يساعد على الاحتراق ، وإذا تنفست الخلايا الموجودة داخل رئة الإنسان أو الحيوان الأوكسجين الخالص فترة طويلة ، احترقت هذه الخلايا ، ومات الإنسان أو الحيوان ، ولهذا يوجد الأوكسجين في الهواء مختلطاً بغازات أخرى كفيلة بمنع أثره السيء والضار في حياة الإنسان والحيوان ، وبالوصول إلى هذه الحقيقة العلمية صحّ ما ذهب إليه الإمام الصادق عليه السلام من أن الهواء مفيد للإنسان بمجموع أجزائه من الغازات الأخرى التي يوجد منها مقدار ضئيل فيه.[2]

٣-حركة الشمس أظهر الإمام عليه السلام خطأ بطليموس الذي هو أول جغرافي قديم تحدث عن حركة الشمس وقد بين الإمام عليه السلام في زمن أبيه الباقر عليه السلام الإشكال في أن نظرية بطليموس تستدعي أن لا تغيب الشمس مطلقاً وأن تكون هناك شمس ثانية تظهر.[3]

(١) دار الفاضل ،الإمام الصادق ص١١٨.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٨.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٤.

وهناك الكثير من الاكتشافات الفلكية التي سجلت للإمام الصادق عليه السلام بالمقارنة مع اكتشافات أخرى سجلت لآخرين أثبتت نقصها ، وهذا ما أشار إليه العلماء الذين شاركوا في المؤتمر ويمكننا أن نشير بالإجمال إلى ذلك:

١- اكتشاف دوران الأرض ، وأن توالي الليل والنهار يحدث بفعل دورانها ، وما اكتشف قبله أنها تدور حول الشمس ولم يقل أحد أنها تدور حول نفسها إلا الإمام الصادق عليه السلام.[١] ولأن غاليلو مكتشف دوران الأرض حول الشمس قالوا إنه ربما اكتشف أيضاً دورانها حول نفسها لكنه لم يعلنها خوفاً.[٢] في محاولة للتقليل من شأن اكتشاف الإمام الصادق عليه السلام .
والمقصود في كلام الإمام عليه السلام هو ما أشرنا إليه سابقاً من حوار مع أحد العلماء(قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): كيف بصرك بالنجوم؟ قال :قلت: ما خلفت بالعراق أبصر بالنجوم مني ، فقال: كيف دوران الفلك عندكم؟ قال :فأخذت قلنسوتي عن رأسي فأدرتها قال: فقال: إن كان الأمر على ما تقول فما بال بنات النعش والجدي والفرقدين لا يرون يدورون يوماً من الدهر في القبلة؟ قال: قلت: هذا والله شيء لا أعرفه ولا

---

(١) دار الفاضل ،الإمام الصادق ص١٧٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٦٩.

سمعت أحداً من أهل الحساب يذكره).[1]

وهنا يسقط الإمام عليه السلام نظرية دوران الشمس حول الأرض لأنها إن صحت فكيف نهتدي بالجدي ونراه (والجدي نجم في القطب يهتدي به إلى القبلة) وبنات نعش والفرقدان لا تترك مواقعها، وإنما الأرض التي تتحرك حول نفسها ثم تتحرك في دائرة أوسع حول الشمس.[2]

٢- نشأة الكون قطبين متضادين ويما يلائم النظريات الحديثة إذ أشار عليه السلام إلى وجود قطبين متضادين وهو ما يمثل القوتين الإيجابية والسلبية داخل الذرة، ومنها تتألف الذرة نفسها وتتولد المادة من الذرة، وكان جازماً برأيه ولم يعتريه الشك فيها، فاليوم الكهرباء والإلكترونيات أثبتت سلامة هذه النظرية وهي أن هناك قطبين متضادين.[3]

٣- سكان الكواكب إذ يقول الإمام عليه السلام أن لله خلائق أخرى تعيش في الكواكب والسموات الشاهقة وهي تسبح الله بلغة لا يعرفها الإنسان ولعلها تكلمنا دون أن نعرف

---

(١) الشيخ الكليني، الكافي ٨/ ٣٥١ - ٣٥٢. وينظر ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب ٣٨٧/٣، المجلسي، البحار ٢٤٢/٤٧، الحر العاملي، الوسائل ١٤٢/١٧.

(٢) دار الفاضل، الإمام الصادق ص١٧١. هامش المترجم

(٣) المصدر نفسه، ص١٧٣.

لسانها (أي أنها تتصل بنا).[1]

٤- اكتشاف الإسطرلاب: اكتشفه تلميذه أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري ت١٦١هـ والإسطرلاب أشبه بالتلسكوب أو ناظور الكواكب ، وعلماء الفلك المشهورون آنذاك درسوا على الإمام الصادق عليه السلام.[2]

٥- الجاذبية: أشار العلماء الغرب إلى أنه لا يستبعد أن يكون الإمام الصادق عليه السلام الذي اكتشف دوران الأرض حول نفسها قد توصل قبل ذلك إلى قانون الجاذبية ، فهذا القانون هو أساس تلك النظرية ومن المنطقي أن يكون اهتداؤه إلى قانون الجاذبية قد هون عليه الاهتداء إلى نظرية دوران الأرض حول نفسها.[3]

ونرى هنا أن هذا الربط العلمي من هؤلاء العلماء المحدثين يتم وفق أسس منهج البحث العلمي ، ومع ذلك فإن هذا المنهج يثبت ما هو ثابت لنا أصلاً بفعل إيماننا بأن علم الإمام عليه السلام لا يخفى عليه أمر فيه من هذه الأمور ، وإلا فإنها من باب ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم.

---

(١) ينظر المجلسي، البحار ٥٣/٣٢٤- ٣٢٦، مغنية، في ظلال نهج البلاغة٢/١٨.

(٢) دار الفاضل ،الإمام الصادق ص٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ص١٧٢.

المحور الفيزياوي

أن المتتبع لبحوث العلماء في مؤتمر استراسبورغ يجد أن أشد ما أدهشهم هو ما طرح من اكتشافات في ميدان الفيزياء لاسيما وأن الإمام الصادق عليه السلام قد طرح في مدرسته أمور هي مثار جدل حتى في الوقت الحاضر إلى السنوات الأخيرة من القرن العشرين ، أما إذا ما ذكرنا نوع استقبال هذه المعلومات في ذلك الزمان فلا شك بأنه يمثل نوعاً من أنواع الغموض والفهم العشوائي للناس الذين لم يتمكنوا من إدراك ما يسمعون ومن هنا بدأ العلماء بتحليل كلام الإمام عليه السلام ودون صعوبة بسبب المطابقة مع أحدث علوم العصر.

الاكتشافات التي غيرت العالم

لعل أبرز ما يطالعنا في بحوث العلماء في مؤتمرهم عن الإمام الصادق عليه السلام هو ذكرهم لأبرز الاكتشافات التي سببت طفرة في حياة العالم اليوم ، وتمت نسبتها علمياً للإمام الصادق عليه السلام ومدرسته وبشكل قائم على مستوى استدلالي بحثي منهجي لأنهم غير موالين لأئمة أهل البيت فضلاً عن كونهم غير مسلمين:

١- نظرية الرؤية أو الانعكاس فبعد أن كان قد ساد وبشكل خاطئ أن الرؤيا تتم بالشعاع الخارج من العين كان الإمام عليه السلام يُدرس طلبته أن الرؤية تتم بالضوء المنعكس من الأجسام على صفحة العين البشرية ، وإذا كانت بعيدة تقل

الرؤية لقلة الضوء إلا بمنظار يقرب الضوء للعين ، وكل العلماء الذين ذكروا ذلك إنما جاءوا بعده ومن هذه النظرية استطاعوا اكتشاف انعكاس الضوء على سطح القمر ووصوله إلى العين.[1] وقد اتضح هذا الطرح كما أسلفنا حينما حضر الإمام عليه السلام مجلس المنصور يوماً ، وعنده رجل من الهند يقرأ كتب الطب ، (فجعل أبو عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ينصت لقراءته فلما فرغ الهندي قال له: يا أبا عبد الله: أتريد مما معي شيئاً؟ قال: لا ، فإن ما معي خير مما معك ، ......فلم كان الحاجبان من فوق العينين.... وجعل الحاجبان من فوق العينين ليرد عليهما من النور قدر الكفاية ، ألا ترى يا هندي أن من غلبه النور جعل يده على عينيه ليرد عليهما قدر كفايتهما منه وجعل الأنف فيما بينهما ليقسم النور قسمين إلى كل عين سواء).[2]

وقد أشار الشاكري إلى ذلك عندما قال أن من إبداعات الإمام جعفر الصادق(عليه السلام): نظريته الخاصة بالضوء ، فمن رأيه أن الضوء ينعكس من الأجسام على صفحة العين البشرية ، أما الأجسام البعيدة فلا ينعكس منها إلا جزء

---

(١) حسين الشاكري، موسوعة المصطفى والعترة ج ٩ / ٣٣٥. دار الفاضل، الإمام الصادق ص٢٧١.

(٢) الشيخ الصدوق، الخصال ص ٥١١ – ٥١٤، ابن شهراشوب، مناقب ال ابي طالب ٣٨٣/٢، ألمجلسي ،البحار ٢٠٦/١٠.

صغير من الضوء ، ولهذا تتعذر رؤيتها بالوضوح الكافي ، أما إذا استعنا بجهاز أو آلة لتقريب الضوء إلى العين ، كالجهاز الكهربي الضوئي مثلاً ، فعندئذ يمكننا مشاهدة الجسم البعيد بحجمه الحقيقي نفسه وبوضوح تام ، بمعنى أن الجسم الذي يبعد عنا ثلاثة آلاف ذراع ، نراه وكأنه يبعد عنا ستين ذراعاً ، فنكون بذلك قد قربناه أكثر من خمسين مرة.(١)

بقي أن نذكر أن ما يدلل على أن هذا الكلام لم يتعلمه الإمام من المدارس الغربية كما يحلو للبعض القول هو أن الإمام علي عليه السلام فيما ورد في نهج البلاغة قد أشار إلى هذه الحقيقة ورتب عليها أثر ، وإن كان لم يعلنها صراحة مثل الإمام الصادق عليه السلام الذي كان يدرسها.(٢)

٢- اكتشاف الليزر إذ أكد العلماء أن الإمام الصادق بمقولته المشهورة يكون أول من اكتشف الليزر ، وذلك حينما قال أن الضوء الساطع القوي يستطيع تحريك الأجسام الثقيلة ، وهي أساس أشعة الليزر.(٣)

كما أنه عليه السلام حدّد سرعة الضوء(بلمح البصر) واليوم حددت بالمقاييس ، ويقصد بذلك سرعة الضوء الساقط على

---

(١) موسوعة المصطفى والعترة ج ٩ / ٣٣٥

(٢) ينظر حميد سراج، الفكر الاختباري في نهج البلاغة ص ٧٥.

(٣) دار الفاضل ،الإمام الصادق ص٢٨١.

العين ، وقد اكتشفت حركة الضوء هذه فيما بعد.[1]

٣-قانون الأجسام الصلبة إذ صنفها الإمام عليه السلام بما يتوافق مع العلم الحديث فقد قسمها إلى أجسام كدرة وأخرى مصقولة شفافة ، وقال عليه السلام كل جسم صلب جامد يكون كدراً وكل جسم جامد دافع يكون لماعاً وشفافاً وقال أن الحرارة هي التي تجذب.[2]

واليوم أصبحت هذه النظرية قانوناً علمياً في الكهرباء والفيزياء ، وأن كل جسم كدر تصدر عنه أمواج وأشعة حرارية فيكون موصلاً جيداً للحرارة والأمواج الإلكترونية والأجسام الشفافة اللماعة لا تنقل الحرارة منها بسهولة ، تعد أجساماً عائقة غير موصلة.[3]

٤- وجود النقيض المضاد: أخبر الإمام عليه السلام أن لكل كائن موجود وجوداً ذاتياً كائناً مضاداً له ما عدا الله سبحانه وتعالى ، ولكن الضدين لا يتصادمان ولا يجتمعان ولو اجتمعا أو تصادما لكان في ذلك نهاية العالم.[4]

وهذه النظرية الحديثة نفسها القائلة أن للمادة نقيضاً ومضاداً ،

---

(١) دار الفاضل ،الإمام الصادق ص٢٨١.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٦٦.

(٤) المصدر نفسه، ص٣١٢.

والقنبلة الذرية لا تتعلق إلا بجزء بسيط والعلماء يقولون اليوم أن تصادم كيلو غرام واحد من المادة مع نقيضها يدمر الكرة الأرضية.[1]

المحور الطبي وتركيب الأجسام

ربما تداخل الجانب الطبي مع الجوانب الخاصة بتركيب جسم الإنسان ، لذا فبسبب كثرة المعلومات المطروحة في هذا الإطار آثرنا أن نقتصر على أجزاء بسيطة منها عن كل جانب حتى تصل الصورة المرادة من البحث بشكل واضح وكما يأتي:

أ- مسببات الأمراض والجانب الوقائي:

ذكر العلماء الذين تناولوا الجانب الطبي في مدرسة الإمام عليه السلام أن له مكتشفات في هذا الإطار لم يتوصل العلم إليها إلا حديثاً ، وهي أمور يصعب حتى على الأجهزة الأكثر تعقيداً أن تكتشفها إلا بعد الثورة التكنولوجية ويمكن أن نذكر منها:

١- انتقال الأمراض بالضوء (الفوتون) إذ أشار الإمام عليه السلام إلى انتقال بعض الأمراض عن طريق الضوء من المريض إلى السليم ، أي أن هناك أمراضاً ينبعث منها ضوء فإذا أصاب الضوء أحداً مرض وهي غير الهواء والمكروب ، وليس كل

---

(١) دار الفاضل، الإمام الصادق ص٣١٢.

ضوء بل المنبعث من المريض.[1]

والجميع رفض ذلك إلا أنه في السنوات الأخيرة أثبت مركز من أهم مراكز العالم الطبية وهو مركز في الاتحاد السوفيتي سابقاً بأن هناك من الأمراض ما يشع ضوءاً ، وأن هذا الضوء قادر على إصابة الخلايا السليمة وإيقاع المرض بها إذ أنه يشع الفوتون وهو أصغر جزء من الضوء ، وقد أجريت أكثر من خمسة آلاف تجربة جميعها حققت العدوى ، والأشعة المنبعثة هي الأشعة فوق البنفسجية.[2]

٢- الأسلوب الصحي الوقائي في التعامل مع الرضيع ، فقد عرف عن الإمام عليه السلام كما يقول هؤلاء العلماء أنه كان يوصي بإرضاع الطفل وهو راقد إلى الناحية اليسرى من أمه ، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الطفل في أيامه الأولى إذا نام إلى الجانب الأيسر لأمه يكون أقل بكاءً وأذى ، ويجد راحة فيه ، وبعد البحث وجدوا أن ضربات قلب الأم تحدث أمواجاً تنتشر في جسمها وتصل إلى سمع الطفل في الحمل وهذا هو سر حمل الطفل إلى الجانب الأيسر لأنه متعود على ضربات قلب الأم التي تشعر بالجنين.[3]

---

(١) دار الفاضل، الإمام الصادق ص٣٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٤٠٧- ٤٠٨..

ب- تشريح الجسم

لقد قسم الإمام عليه السلام كل تراكيب جسم الإنسان وبين جزئيات ذلك التقسيم إذ أن هذا التقسيم هو الذي طرح في بحوث المؤتمر من حيث مطابقته لأحدث علوم العصر، وكان ذلك أن نصرانياً سأل الصادق تفصيل الجسم، فقال(ع): أن الله تعالى خلق الإنسان على اثنا عشر وصلاً وعلى مائتين وستة وأربعين عظماً وعلى ثلاثمائة وستين عرقاً، فالعروق هي التي تسقي الجسد كله والعظام تمسكها واللحم يمسك العظام والعصب يمسك اللحم وجعل في يديه اثنين وثمانين عظماً، في كل يد أحد وأربعون عظماً منها في كفه خمسة وثلاثون عظماً وفي ساعده اثنان وفي عضده واحد وفي كتفه ثلاثة، وكذلك في الأخرى وفي رجله ثلاثة وأربعون عظماً منها في قدمه خمسة وثلاثون عظماً وفي ساقه اثنان وفي ركبته ثلاثة وفي فخذه واحد وفي وركه اثنان، وكذلك في الأخرى وفي صلبه ثماني عشرة فقارة وفي كل واحد من جنبيه تسعة أضلاع، وفي عنقه ثمانية وفي رأسه ستة وثلاثون عظماً وفي فيّه ثمانية وعشرون[1].

والمعلوم أنه لا يستطيع غير الأئمة عليهم السلام ذلك التفصيل إلا من عاش بهذا العصر من المتخصصين، وإلا فإن أغلب الناس اليوم لا يعرفون ذلك، ثم أن عدم حاجة الإمام عليه السلام

---

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ٢/٣٧٩، المجلسي، البحار ٤٧/٢١٨.

للأجهزة وانعدامها أصلاً ، وانعدام مدرسة تعلم هذه المسائل دليل على علمه ألّلدني الذي حاول بعضهم إنكاره.

وهناك الكثير من الأمور الطبية التي ذكرها الإمام عن التشخيص والعلاج والطبائع وفلسفة ، كل ذلك وقد أوردها أصحاب البحوث في مؤتمر استراسبورغ حينها.

فلسفة الظواهر الكونية والجغرافية في فكر الإمام الصادق عليه السلام

يدرس هذا الموضوع جزئية مهمة في حياة الإمام الصادق عليه السلام وهي تتعلق بتفسيراته العلمية للظواهر الكونية الجغرافية، أو بيانه لفلسفة هذه الأمور وفق منطق علمي بحت، وهذا ما ينسجم مع رؤية علماء الغرب لعلم الإمام الصادق عليه السلام ولاكتشافاته العلمية التي حددها علماء الغرب في مؤتمر استراسبورغ في فرنسا في سنة ١٩٦٨ كما سلف، وقد ثبت من تلك الدراسة أن الغرب أو كبار العلماء هناك يرون أن جل علوم العصر تعود للإمام الصادق عليه السلام صاحب الجامعة العلمية الشهيرة.

ومن هذا المنطلق فقد بحثنا في هذا الموضوع فلسفة الظواهر الكونية والجغرافية وأسبابها وتفسيراتها في نظر الإمام الصادق عليه السلام، إذ تنوعت هذه الفلسفة بحسب طبيعة الظاهرة، إذ نجد أن الإمام عليه السلام يذكر الفلسفة إلى جانب الأثر الناتج في كلتا الحالتين سواء وجود الظاهرة نفسها أم العكس، إذ نجد أن الإمام عليه السلام بعد أن يبين فلسفة الظاهرة يحتمل للسامع وجود

العكس منها مبيناً الآثار السلبية التي ستحدث ، ومن ثم يبين قدرة الله تعالى على التنظيم والتوازن بما يخدم الإنسان.

وقد يتصور البعض أن تفسيرات الإمام عليه السلام وليدة الصدفة غير أن المتتبع للدراسة يكتشف أن الإمام عليه السلام كان يملي هذه الأفكار بشكل مباشر فهي ليست أفكاراً ضمنية – مع العلم إننا مع القول بعلمية هذه الأفكار حتى وإن كانت ضمنية كما نراها في نهج البلاغة- وإنما هي محاضرات (إن صح التعبير) أملاها الإمام عليه السلام على طلابه ومنهم المفضل بن عمر الذي جمعها في كتاب اسمه التوحيد ، هذا فضلاً عن المناسبات الأخرى الكثيرة.

وقد شملت الظواهر التي فسرها الإمام عليه السلام أنواعاً عدة عن طبيعة الفصول المختلفة وفلسفة ذلك وعن نوع التربة وطبيعة شكلها ومكوناتها وأسباب ذلك التكوين وفلسفته ، فضلاً عن الكواكب والتضاريس والمناخ وطبيعة النبات والبيئة والجوانب الكثيرة الأخرى.

أولاً : فلسفة الجدوة الإنتاجية

ونقصد بها ما طرحه الإمام الصادق عليه السلام من فلسفة وأسباب لبعض الظواهر الكونية والجغرافية ، والتي كانت ذات أبعاد تمثل الجدوة الإنتاجية لتلك الظواهر بمختلف أشكال الإنتاج سواء كانت أبعاداً اقتصادية أم عمرانية أم طبية وعلاجية وما شاكل

ذلك ، إذ نجد أن الإمام عليه السلام قد ركز في بيان فلسفة تلك الظواهر على صور الإنتاج التي تداخلت مع السياق العلمي القائم على أسس منطقية سليمة ، أو بعبارة أخرى إنها قائمة على أصول علمية دقيقة قد لا تكون مستساغة ومتحصلة لغير المختصين ، ولعل من ذلك الفلسفة الإنتاجية فيما يخص بعض الظواهر الكونية مثل ما طرحه الإمام عليه السلام حول فلسفة هطول المطر إذ قال في جزءً منها "حياة دواب البحر بالمطر فإذا كف المطر ظهر الفساد في البحر والبر"[1].

وينبغي هنا الالتفات إلى أن الإمام الصادق عليه السلام ربط بين المطر والأثر الإنتاجي فيه على حياة كائنات البحر إلا أنه ربط في الوقت نفسه حتى حياة البر في ذلك ، وربما نجد أن ما يفسر كلام الإمام الصادق عليه السلام عن أثر المطر في البحر وهو ما ورد عن الإمام علي عليه السلام حينما قال عن أثر المطر في كائنات البحر "فإذا مطرت فتحت الأصداف أفواهها في البحر ، فيقع فيها من ماء المطر ، فيخلق اللؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة ، واللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة".[2] وهذا الأثر الإنتاجي هو الذي عناه الإمام الصادق عليه السلام أيضاً ، ولا ينبغي أن نفهم كلام الإمام علي

---

(١) ينظر: ألمجلسي، بحار الأنوار، ٣٤٩/٧٠؛الحويزي، تفسير نور الثقلين، ١٩٠/٤.

(٢) ينظر الفيض الكاشاني التفسير الاصفي٢٤٣/٢؛ ألمجلسي، بحار الأنوار، ٣٧٣/٥٦؛ النمازي، مستدرك سفينه البحار، ٢١٣١/٩ .

عليه السلام على أساسه الظاهري فقط وإنما هناك جوانب معنوية فيه تتلاءم مع العلم الحديث الذي لا يبعد الأثر الخارجي عن إنتاج الحيوانات البحرية وفتح الأصداف بالنسبة لموضوع إنتاج اللؤلؤ.

وهناك فلسفة إنتاجية أخرى نستطيع أن نسميها الفلسفة المباشرة التي طرحها الإمام الصادق عليه السلام ، وهي فلسفة الإنتاجية الزراعية ، إذ نجد أن الإمام عليه السلام وضح أن المطر هو جزءاً من فلسفة الإنتاج الزراعي ، إذ قال عليه السلام "...فالأمطار هي التي تطبق الأرض وربما تزرع هذه البراري الواسعة في سفوح الجبال فتغل الغلة الكثيرة"[1].

وهذه إشارة واضحة للمنتوج والغلة الغذائية والصناعية وما شابه من تلك المزروعات على الإنسان والحيوان ، ومن ثم بيان أثر المطر وفلسفة هطوله.

البعد الآخر من أبعاد الفلسفة الإنتاجية هو بعد الفلسفة الجغرافية لبعض التكوينات والتي منها الجبال إذ أخرجها الإمام الصادق عليه السلام من إطارها المادي الجامد إلى الإطار المعنوي المنتج ، إذ حدّد فلسفة هذا التكوين الإنتاجية وذلك حينما خاطب المفضل[2] أحد تلامذته قائلاً "أنظر يا مفضل إلى هذه الجبال

---

(١) المفضل ، التوحيد ، ص ٩٦ ينظر: المجلسي ، بحار الأنوار ، ١٢٦/٢ .

(٢) المفضل هو المفضل بن عمر أبو عبد الله، وقيل: أبو محمد، الجعفي لقي أبا عبد الله الصادق عليه السلام، وقد اختلف فيه إذ نقل بعضهم انه ضعيف فاسد المذهب، فيما نقل اخرون انه من شيوخ اصحاب الإمام=

المركومة من الطين والحجارة ، التي يحسبها الغافلون: فضلاً لا حاجة

=الصادق عليه السلام . ينظر التفرشي، نقد الرجال ٤/٤٠٧ – ٤٠٨ ، الأردبيلي، جامع الرواة ٢/ ٢٥٨ – ٢٥٩. غير أن السيد الخوئي حسم هذا الأمر بعد أن عرض كل روايات الطعن وروايات التوثيق وحكم باستقامة المفضل وصحبته ووثق كتابه المعروف بالتوحيد الذي يضم كلام الإمام الصادق عليه السلام عن الجوانب الكونية والعلمية وغير ذلك إذ قال الخوئي (ويكفي في جلالة المفضل تخصيص الإمام الصادق عليه السلام إياه بكتابه المعروف بتوحيد المفضل، وهو الذي سماه النجاشي بكتاب فكر، وفي ذلك دلالة واضحة على أن المفضل كان من خواص أصحابه ومورد عنايته . أضف إلى ذلك ما تقدم من توثيق الشيخ المفيد إياه صريحاً ، ومن عد الشيخ إياه من السفراء الممدوحين، وأما ما ذكره النجاشي من أنه كان " فاسد المذهب " . مضطرب الرواية، لا يعبأ به، . . . وقد ذكرت له مصنفات لا يعول عليها " ففيه تفصيل: أما قوله فهو فاسد المذهب، فيعارضه ما تقدم من الشيخ المفيد من عده من الفقهاء الصالحين ومن خاصة أبي عبد الله عليه السلام، وبطانته . ولا يسعنا إلا ترجيح كلام الشيخ المفيد على كلام النجاشي من جهة معاضدته بما تقدم من الروايات التي لا يبعد دعوى التبادر الإجمالي فيها . وأما قوله: مضطرب الرواية، فهو إن صح لا يكشف عن عدم الوثاقة، كما تقدم بيانه في ترجمة المعلى بن محمد البصري . وأما قوله: وقد ذكرت له مصنفات لا يعول عليها فهو مبني على ما ذكره من أنه فاسد المذهب، مضطرب الرواية، وقد عرفت الحال فيه، على أن ظاهر كلامه أن هذه المصنفات لم يعلم أنها مصنفات المفضل، وإنما هو أمر مذكور، والطريق الذي ذكره إلى كتبه ضعيف . والنتيجة أن المفضل بن عمر جليل، ثقة، والله العالم . الرجال ١٩/ ٣٣٠- ٣٣١.

إليها . والمنافع فيها كثيرة: فمن ذلك أن تسقط عليها الثلوج ، فتبقى في قلالها لمن يحتاج إليه ، ويذوب ما ذاب منه ، فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام ، وينبت فيها ضروب من النبات والعقاقير التي لا ينبت مثلها في السهل ، ويكون فيها كهوف ومعاقل للوحوش من السباع العادية ويتخذ منها الحصون والقلاع المنيعة للتحرز من الأعداء وينحت منها الحجارة للبناء والأرحاء ، ويوجد فيها معادن لضرب من الجواهر ، وفيها خلال أخر لا يعرفها إلا المقدر لها في سابق علمه"[1]. والفلسفة الإنتاجية هنا تتركز بجملة بجملة أبعاد:

أ- البعد الاقتصادي والمتمثل بـ:

١- وجود الثلوج لمن يحتاجها لمحافظة بعض أجزاء الجبال عليها.

٢-وجود العيون الغزيرة والأنهار الناتجة عنها.

٣-وجود النباتات ذات الجدوة الاقتصادية للكائنات الحية.

٤- وجود المعادن لأنواع الجواهر.

ب- البعد البيئي وما يرتبط به من وجود المزروعات والخضرة والأجواء الطبيعية والصحية.

---

(١) المفضل ،التوحيد ، ص: ٩٧ ؛ ينظر : المجلسي ، بحار الأنوار ، ٨٤٨/٥٧ .

ت- البعد الصحي لظهور نباتات عشبية طبية لا توجد في السهول.

ث- البعد العمراني المتمثل بـ:

١- وجود الكهوف وبيوت بعض الحيوانات.

٢-الاستفادة منها في بناء الحصون والقلاع المنيعة لمواجهة العدو.

٣-وجود المادة الأولية للبناء وهو ما يحتاجه الإنسان أساساً.

ثانياً: الفلسفة ذات الأبعاد المعنوية

يمثل هذا النوع من الفلسفة أو العلة النوع الخفي من أنواع الفلسفة فهناك أبعاد معنوية لا يتأتى للكل إدراكها لذا نجدها غامضة أو إجمالية ، لذا أشار الإمام الصادق عليه السلام إليها في عدة مناسبات لبيان الفلسفة فيها ويمكن دراستها كما يأتي:

١- الفلسفة المعنوية للنظافة

تعد النظافة من الأمور والظواهر التي تتفاوت مديات الاهتمام بها من زمن ومكان لآخر تبعاً لطبيعة ثقافة المجتمع ، وأيضاً تختلف أساليب الترغيب في النظافة لتشمل طرائق مادية ومعنوية ، غير أن أسلوب الإمام الصادق عليه السلام في بيان فلسفة الاهتمام والترغيب فيها تختلف تماماً لتجمع بين الأسلوب الترغيبي المعنوي العام والعبادي الخاص من خلال الآثار التي ذكرها عليه السلام

حينما أشار إلى فوائد التنظيف المعنوية والعبادية فقال عليه السلام: "...كسح الفناء مجلبة للرزق"[1] ولا يفهم من ذلك أنه عليه السلام يقصد التنظيف المادي فحسب وإنما أيضاً كل الذنوب والمعاصي تحتاج إلى كسح(كنس) من البيت وكلها تؤدي إلى الرزق ، غير أن الأساس في الموضوع هو تنظيف الأوساخ حتى يكون البيت والدار مؤهلين لأن يكونا مقامين لطاعة الله تعالى.

٢- الإصلاح المعنوي والتقرب إلى الله تعالى

يمثل الإصلاح المعنوي ومفهوم التقرب إلى الله سبحانه وتعالى نوعاً من أنواع الفلسفة المعنوية التي حددها الإمام الصادق عليه السلام ، وهي أيضاً من النوع الخفي الذي نستطيع أن نسميه العناية الإلهية بالعباد ، ويظهر ذلك في كلامه عن فلسفة المطر إذ يقول عليه السلام: "فإن قال قائل: أو ليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع منه أو برد يكون فيه تحطيم الغلات ، ويحوزه بحدثها في الهواء فيولد كثيراً من الأمراض في الأبدان والآفات والغلات ، قيل: بلا قد يكون وذلك الفرط لما فيه صلاح الإنسان وكفه عند ركوب المعاصي والتمادي فيها فيكون

---

(١) الكليني ، الكافي ، ٥٢١/٦ ؛ ينظر الحر العاملي ، وسائل الشيعة"آل البيت" ، ٣١٨/٥.

المنفعةِ فيما يصلح له من دينه أرجح مما عسى أن يرزأ في ماله"[1].

ويفهم مِن ذلك عدة أمور:

١- أن هناك أفكاراً هي عبارة عن تحذير بالعقوبة من الله تعالى وهي عقوبة معنوية وليس كعقوبات الأمم السالفة.[2]

٢- أن الفلسفة فيها هي فلسفة إصلاحية معنوية وليست مادية ، إذ أن فقدان المال يعوض بإصلاح دين المرء.

٣- كل هذا الضرر يرجع إلى سبب معنوي وهو كثرة المعاصي.

٣-الفلسفة المعنوية للزراعة.

في بعض الأحيان نجد الجانب المعنوي في الحث على بعض الأمور التي تدخل ضمن نطاق الأبعاد الكونية والجغرافية بكل تفاصيلها ، ومنها الزراعة والترغيب المعنوي فيها وكأن فلسفتها معنوية فضلاً عن أثرها المادي إذ يقول عليه السلام "ما في الأعمال شيء أحب إلى الله من الزراعة ، وما بعث الله نبياً إلا زارعاً إلا إدريس فإنه كان خياطاً"[3].

---

(١) المفضل، التوحيد، ص: ٩٦ ؛ ينظر: المجلسي ، بحار الأنوار ، ١٢٦/٣ .

(٢) ينظر عن عقوبات الأمم السالفة، الجزائري، قصص الأنبياء بجميع صفحاته.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٨/١٠٠ ؛ ينظر: النمازي ، مستدرك سفينة البحار، ٢٨٦/٤ .

وهنا إشارة صريحة إلى أمرين:

الأمر الأول: الأثر المعنوي القائم على أساس الإثابة المعنوية.

الأمر الثاني: الموازاة مع القدوة الحسنة المتمثلة بالأنبياء عليهم السلام.[1]

٤-فلسفة بيان الحكمة الإلهية.

وهذه الفلسفة هي صورة عامة في كل أنواع العلل والأسباب التي ذكرناها والتي سنذكرها غير أنها في الوقت نفسه تمثل خصوصية مباشرة أيضاً ، إذ صرح الإمام الصادق عليه السلام في بعض كلامه بما معناه أن فلسفة بعض الظواهر هي لبيان قدرة الله تعالى وحكمته إذ ورد ذلك في كلامه مع المفضل عن الشمس والقمر والنجوم إذ قال عليه السلام "فكر هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على العالم هذا الدوران الدائم ، بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الأزمان الأربعة المتوالية من التنبيه على الأرض وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة ، كالذي بينت وشخصت لك آنفاً ، وهل يخفى على ذي لب أن هذا تقدير مقدر وصواب وحكمة من مقدر حكيم ، قال قائل: إن هذا شيء اتفق أن يكون هكذا؟ فما منعه أن يقول مثل هذا في دولاب يراه يدور ويسقي حديقة شجر ونبات

---

(١) ينظر الدكتور حميد سراج، فلسفة النبوة وأبعاد حياة الأنبياء الاجتماعية ص٣١٢.

فيرى كل شيء من آلاته مقدراً بعضه يلقي بعضاً على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها. وما كان يثبت هذا القول لو قاله . وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه؟ أفينكر أن يقول في دولاب خشب مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الأرض ، إنه كان بلا صانع ومقدر ، ويقدر أن يقول في هذا الدولاب الأعظم المخلوق بحكمة تقصر عنها أذهان البشر ، لصلاح جميع الأرض وما عليها أنه شيء اتفق أن يكون بلا صنعة ولا تقدير لو اعتل هذا الفلك ، كما تعتل الآلات التي تتخذ للصناعات وغيرها ، أي شيء كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه."[1]

ولعل كلام الإمام عليه السلام بالغ الوضوح ، وفلسفة الظواهر الكونية التي قصدها عليه السلام لا تحتاج إلى جهد كبير ، ولكن مع ذلك فقد وردت جملة مفاهيم وارتكازات يمكن أن تعد أساساً في رد الشبهات عن الدين الإسلامي ويمكن إجمالها بما يأتي:

١- أن كلام الإمام عليه السلام هنا هو صورة مصغرة للرد المفحم على أصحاب المادية في الفكر ومنهجهم في الصدفة.[2]

٢-مواجهة الحجة بالحجة إذ رد الإمام الصادق عليه السلام على سؤال وشبهة افتراضية وأيضاً كان الرد مفحماً ، عن صنع الإنسان للمصنوعات وعدم التجرؤ بالقول بالصدفة فيها.

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار ١١٧/٣.

(٢) ينظر محمد باقر الصدر، فلسفتنا، بجميع صفحاته.

٣-كل منطوق هذا الكلام دال على الحكمة الإلهية وقدرته سبحانه وتعالى ، ومن ثم فإن الفلسفة هنا لبيان تلك الحكمة.

ثالثاً: فلسفة الصحة النفسية والبدنية

وتنقسم هذه الفلسفة إلى قسمين رئيسين القسم الأول منها ما يتعلق بالجانب النفسي والقسم الثاني يتعلق بالجانب البدني العام ، وإن كانت الفلسفة النفسية نفسها فيها جوانب عامة تخص صحة البدن وكما يأتي:

القسم الأول: فلسفة الصحة النفسية

ويمكن إدراكها في دراستنا لكلام الإمام الصادق عليه السلام للمفضل عن موافقة أصناف النبات في الوقت المناسب لها إذ قال له عليه السلام" وانظر كيف صارت الأصناف توافي في الوقت المشاكل لها ، من حرارة الصيف ووقدة الحر فتلقاها النفوس بانشراح وتشوق إليها ، ولو كانت توافي الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها واقشعراراً منها مع ما يكون فيها من المضرة للأبدان. ألا ترى أنه ربما أدرك شيء من الخيار في الشتاء ، فيمتنع الناس من أكله إلا الشره الذي لا يمتنع من أكل ما يضره ويسقم معدته".[1] وقد حدد الإمام الصادق عليه السلام جملة علامات نفسية وفق باب المقارنة لبيان فلسفة الموافقة الزمنية وكما يأتي:

---

(١) المجلسي ، بحار الأنوار ٣/ ١٣٤.

١- العلامة الأولى انشراح النفس وتشوقها لأصناف النبات في وقتها المحدد وهو الصيف مثلاً.

٢- كراهة الناس والنفس واقشعرارهم من النبات أو الثمار في غير وقتها مثل نباتات الصيف في الشتاء.

وليس هذا فحسب فنجد أن هناك علاقة بين الأثر النفسي هذا والأثر الصحي في البدن وكما يأتي:

١- أن الإمام عليه السلام حدّد الأثر السلبي في البدن بسبب عدم توافق النبات مع وقته المحدد ، هذا فضلاً عن الأثر النفسي الذي أشرنا إليه.

٢- ذكر الإمام عليه السلام مثالاً واقعياً عن أكل الخيار في الشتاء وآثاره المرضية على المعدة.

أيضاً أكد الإمام عليه السلام في هذا الجانب النفسي والصحي معاً في بيان فلسفة هبوب الرياح حينما قال للمفضل "وأنبهك يا مفضل على الريح وفيها ، ألست ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب ، الذي يكاد أن يأتي على النفوس ، ويمرض الأصحاء ، وينهك المرضى ، ويفسد الثمار ، ويعفن البقول ، ويعقب الوباء في الأبدان ، والآفة في الغلات . ففي هذا بيان: إن هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق".[1]

---

(١) المفضل، التوحيد ص ٨٩. وينظر المجلسي، بحار الأنوار ٣/١١٩.

ولا ريب في أن النقاط التي ذكرت توحي بمرحلية وتشخيص دقيقين من الإمام الصادق عليه السلام بحدوث إمور عدة في حالة ركود الريح يمكن بيانها بما يأتي:

١- التأثير النفسي في الإنسان بما يعوق عمله وحركته.

٢-ظهور الأمراض عند الأصحاء وزيادتها وشدتها على المرضى أنفسهم.[1]

٣-فساد الغذاء والثمار وتعفنها.

القسم الثاني: فلسفة الصحة البدنية

يكتسب هذا القسم أهمية خاصة لكونه يبين الفلسفة المباشرة وهي الهدف العام في حفظ بدن الإنسان أو صحته البدنية ، وربما نجد أن الأمثلة تركزت هنا في كيفية الحفاظ على بصر الإنسان واتزانه ، إذ ورد قول الإمام عليه السلام في حديثه مع المفضل بخصوص لون السماء وما فيه من صواب التدبير "فكر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير ، فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة وتقوية للبصر ، حتى أن من صفات الأطباء لمن أصابه شيء أضر ببصره إدمان النظر إلى الخضرة وما قرب منها إلى السواد ، وقد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الإطلاع في إجانة خضراء

---

(١) ينظر الدكتور حميد سراج، الفكر الاختباري في نهج البلاغة ص ٢٦٠.

مملوءة ماء ، فانظر كيف جعل الله جل وتعالى أديم السماء بهذا اللون الأخضر إلى السواد ليمسك الأبصار المتقلبة عليه ، فلا ينكأ فيها بطول مباشرتها له".[1]

والملاحظ دقة الإمام عليه السلام في تحديد اللون(لون السماء) الذي لا يمكن أن يتحدد بشكل مباشر إلا وفق وصف مثل وصف الإمام الصادق عليه السلام(أخضر إلى السواد) ويمكن القول أن الإمام عليه السلام طرح أكثر من أمر في هذا الإطار أو الفلسفة وكما يأتي:

١- الأسلوب التشخيصي الذي يشبه تشخيص الأطباء.[2]

٢- الأسلوب العلاجي والذي يقوم على تحديد الدواء المناسب.

٣- بيان قدرة الله تعالى ورعايته لعباده.

وهناك أمر آخر طرقه الإمام عليه السلام نستفيد منه ، الفكرة السابقة نفسها عن سلامة البصر ومن ثم البدن ونقصد كلامه عليه السلام في بعد الشمس والقمر والنجوم عنا وكيف أن فلسفة ذلك لصالح الإنسان ، إذ قال "أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا ، حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه ، ألم تكن تستخطف الأبصار بوهجها وشعاعها كالذي يحدث أحيانا من

---

(١) المفضل، التوحيد ص ٧٨. وينظر المجلسي، بحار الأنوار ٣/ ١١١.

(٢) ينظر عن تشخيصات الأئمة عليهم السلام الدكتور حميد سراج، الفكر الاختباري في نهج البلاغة ص ٢٦٠.

البروق إذا توالت وأضرمت في الجو؟ وكذلك أيضا لو أن أناساً كانوا في قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم دوراناً حثيثاً لحارت أبصارهم حتى يخروا لوجوههم. فانظر كيف قدر أن يكون مسيرها في البعد البعيد ، لكيلا تضر في الأبصار ، وتنكأ فيها".[1]

وقد أراد الإمام عليه السلام التأكيد على هذا النوع من الفلسفة لبيان رحمة الله تعالى بعباده بالطرح القائم على منهجين:

المنهج الأول: بيان الجانب العلمي لبعد المسافة بيننا وبين الأجرام السماوية وهو المحافظة على سلامة البشر.

المنهج الثاني: التمثيل الرائع للأجرام بالمصابيح وأثرها بسبب قربها وكثرتها ، وهو أمر فيه جانب إضافي يؤكد وجوب إيجاد توازن في التعامل حتى مع المصابيح من حيث البعد والقرب لأنه عليه السلام بيّن ذلك التأثير.[2]

ويمثل الإمام الصادق عليه السلام لمقدار الضرر الذي يصيب الإنسان في حال ساد البرد على الحر أو بالعكس إذ أنه عليه السلام يقرب الفكرة بالواقع المعاش فيخاطب المفضل قائلاً "فكر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج والترسل ، فإنك ترى أحدهما ينقص شيئاً بعد شيء ، والآخر يزيد مثل ذلك ، حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان ، ولو كان دخول أحدهما

---

(١) المفضل، التوحيد ص ٨٥ وينظر المجلسي ، بحار الأنوار ١١٦/٣.

(٢) ينظر الدكتور حميد سراج، الفكر الاختباري في نهج البلاغة ص٥٧.

على الآخر مفاجأة ، لأضر ذلك بالأبدان وأسقمها . كما أن أحدكم لو خرج من حمام حار إلى موضع البرودة ، لضره ذلك وأسقم بدنه فلم يجعل عز وجل هذا الترسل في الحر والبرد ، إلا للسلامة ضرر المفاجأة ولما جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضرر المفاجأة لولا التدبير في ذلك؟ فإن زعم زاعم: إن هذا الترسل في دخول الحر والبرد إنما يكون لإبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها ، سئل عن العلة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها ، فإن اعتل في الإبطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك ، فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقي من هذا القول ، حتى استقر عن العمد والتدبير".[1]

والمثال الذي ضربه الإمام عليه السلام هنا هو لتقريب الفكرة بشكل أفضل و مخاطبة الناس على قدر عقولهم حتى يربط الفرد بين ما يتعرض له من تأثير بفعل العلة نفسها ، وبين أثر ذلك التوازن بين الحر والبرد ، وقد رد الإمام عليه السلام على سؤال افتراضي عن سبب دوران الشمس بوصفه مؤثراً على التعاقب في الحر والبرد ، وإن ذلك من باب الإشكال غير الواقعي بل أنه إشكال عليه إشكالات.

---

(١) المفضل، الوحيد ص ٨٨.

رابعاً: فلسفة التوازن

وهذه الفلسفة هي الإطار الذي يكشف علم أئمة أهل البيت عليهم السلام وأنه من علم رسول الله صلى الله عليه وآله لا سيما وأن ما طرحه الإمام الصادق عليه السلام عن التوازن كان شاملاً ودقيقاً، فالتوازن هو فلسفة وسبب في هذه الظواهر، ويقصد به أن كل ظاهرة وحدث إنما هي لإحداث التوازن الكوني والجغرافي وغير ذلك أي إنها لم تكن اعتباطية، ويمكن تقسيم فلسفة التوازن إلى عدة أنواع وكالأتي:

١- التوازن المادي في الأجسام

ويتعلق هذا الأمر بالتوازن الذي يؤدي إلى الحفاظ على أجسام الكائنات الحية، وهو قائم على أساس التعاقب ومن ذلك قوله عليه السلام في تعاقب الصحو والمطر" ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده ألا ترى أن الأمطار إذا توالت عفت البقول والخضر، واسترخت أبدان الحيوان وخصر الهواء فأحدث ضروبا من الأمراض ففسدت الطرق والمسالك"[1] والملاحظ أن الإمام عليه السلام قد حدّد الآثار السلبية لدوام المطر مثلاً وهي آثار تبين فلسفة التعاقب إذ يمكن إجمالها بما يأتي:

١- تلف النباتات والثمار مثل البقول والخضر.

---

(١) المفضل، التوحيد، ص: ٩٥ ؛ ينظر: ألمجلسي، بحار الأنوار، ١٢٥/٣.

٢-ضعف أبدان الحيوانات وحصول الاسترخاء عن العمل.

٣-فساد الهواء وظهور الأمراض.[1]

٤- فساد الطرق وصعوبة النقل وهو أمر إضافي لما نريد ذكره عن التوازن المادي في الأجسام.

وقد كرر الإمام عليه السلام هذا الأمر عن فلسفة تعاقب الحر والبرد حينما قال: "لولا الحر والبرد وتداولهما الأبدان لفسدت وأخوت وانكمشت"[2]

مبيناً أن هذا التعاقب للحيلولة دون حدوث عدة أمور:

١- فساد الأبدان أي ظهور الأمراض.

٢- ضعف الأبدان حتى تصبح خاوية غير منتجة.

٣-انكماش الجسم بشكل يفصح عمّا يشبه السبات وعدم الحيلة.

٢- التوازن البايلوجي

وهو توازن أوسع من التوازن السابق في الأجسام إلا أنه قد يتداخل معه في بعض العموميات ، غير أنه شامل لجوانب عدة وإن

---

(١) ينظر د.حميد سراج، وزينب مهدي، المنظومة البيئية في فكر أئمة أهل البيت عليهم السلام، جميع صفحاته.

(٢) المفضل، التوحيد ، ص: ٨٧ ؛ ينظر: المجلسي و بحار الأنوار ، ١١٩/٣.

كان الأمر يتعلق بالتعاقب ومن ذلك كلامه عليه السلام للمفضل عن سيادة الصحو على المطر إذ قال "أن الصحو إذا دام جفت الأرض واحترق النبات ، وغيض ماء العيون والأودية ، فاضر ذلك بالناس ، وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضروبا أخرى من الأمراض فإذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد منها عادية الأخر فصلحت الأشياء واستقامت"[1]

وقد ربط الإمام الصادق عليه السلام الضرر في هذا المقام بآثار عدة ونقصد من سيادة الصحو وهي كما يأتي:

١- موت النبات بسبب جفاف الأرض.

٢- فقدان العيون والأودية لمصادرها ومن ثم قلة ماءها وجفافها.

٣- انتشار الأمراض بسبب جفاف الهواء.

ولم يكتف الإمام عليه السلام ببيان الأثر السلبي على بايلوجية الكائنات فقط ، وإنما ذكر الأثر الإيجابي من التعاقب بأمرين:

١- اعتدال الهواء.

٢-التوازن في دفع الأثر السيء من كل جانب(الصحو والمطر).

ولعل فلسفة التوازن البايلوجي تتوضح أكثر في دراسة التعاقب بين الليل والنهار الذي ذكره الإمام عليه السلام وبين آثار الإخلال به في الكائنات عندما قال للمفضل "فكر يا مفضل في مقادير النهار

---

(١) المفضل، التوحيد، ص: ٩٥ ؛ ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ١٢٥/٣.

والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل واحد منهما إذ امتد إلى خمس عشر ساعة ، لا يجاوز ذلك ، أفرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار كل ما في الأرض من حيوان ونبات أما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقر طوال هذه المدة ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة وكان ذلك ينهكها أجمع ويؤديها إلى التلف ، وأما النبات فكان يطول عليه حر النهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق كذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى تموت جوعاً ، وتخمد الحرارة الطبيعية عن النبات حتى يعفن ويفسد كالذي أراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس"[1].

وهنا بين الإمام عليه السلام الآثار السلبية لسيادة كل منهما فبالنسبة لسيادة النهار بين الإمام عليه السلام الآثار في بايلوجية الإنسان والحيوان والنبات بأمرين:

الأمر الأول: استمرار الإنسان والحيوان بالحركة والعمل بسبب وجود الضوء مما يؤدي إلى تلفها وموتها(الإنسان والحيوان) بسبب الإنهاك.

---

(١) المفضل، التوحيد ، ص: ٨٦ ؛ ينظر: المجلسي ، بحار الأنوار ، ١٨٨/٣.

الأمر الثاني: احتراق النبات وجفافه بسبب حر النهار ووهج الشمس.

وكذا الحال بالنسبة لسيادة الليل التي حدّدها الإمام عليه السلام بـ:

١- موت الحيوانات جوعاً بسبب إعاقتها عن الحركة وطلب المعاش.

٢- تعفن النبات وفساده بسبب عدم طلوع الشمس وحدوث عملية التمثيل الغذائي.

٣- التوازن العلمي.

يمثل التوازن العلمي ظاهرة بارزة في فلسفة التوازن المتنوعة، ويحتاج هذا النوع إلى تدقيق كبير كونه يتعلق بتشخيصات قائمة على أساس علمي دون تقديرات وهو الأمر الذي يميز كلام الإمام الصادق عليه السلام الذي عاش في زمن سبق التكنولوجيا الحديثة التي تعد شرطاً أساسياً في اكتشاف هذه الأمور.[١]

١- الحفاظ على تركيبة الأبدان

وأول ما يطالعنا في هذا الإطار ما ذكره عليه السلام حينما قال للمفضل "فكر يا مفضل في طلوع الشمس وغروبها، لإقامة دولتي النهار والليل، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله، فلم يكن الناس

---

(١) ينظر د. حميد سراج، مؤتمر جامعة استراسبورغ عن الإمام الصادق عليه السلام، بجميع صفحاته.

يسعون في معائشهم، ويتصرفون في أمورهم، والدنيا مظلمة عليهم، ولم يكونوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذة النور وروحه... والأرب في طلوعها ظاهر مستغنى بظهوره عن الإطناب في ذكره، والزيادة في شرحه... بل تأمل المنفعة في غروبها، فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء والراحة لسكون أبدانهم، وجموم حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام، وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء، ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل، ومطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم، فإن كثيراً من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم، لم يكن لهم هدوء ولا قرار، حرصاً على الكسب والجمع والادخار، ثم كانت الأرض تستحمي بدوام الشمس بضيائها، ويحمي كل ما عليها من حيوان ونبات، فقدرها الله بحكمته وتدبيره، تطلع وقتاً وتغرب وقتاً، بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم، ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدأوا ويقروا، فصار النور والظلمة، مع تضادهما منقادين متظاهرين ما فيه صلاح العالم وقوامه".[1]

يطرح الإمام عليه السلام هنا مجموعة من الأمور ذات الأبعاد العلمية التي تخص التوازن، إذ تنوعت هذه التوازنات لتشمل أعضاء الجسم الإنساني والحيواني معاً، لذا فأن عدم طلوع الشمس يحمل الآثار الآتية التي ذكرنا جزءاً منها سابقاً:

---

(١) المفضل، التوحيد، ص: ٧٩ ؛ ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ١١٢/٣.

١- عدم سعي الناس للمعاش.

٢- عدم الهناء بالعيش مع فقدهم لذة النور.

٣- وجود أعمال لا تتم إلا بوجود النور.

أما طلوعها المستمر وعدم غروبها وهو بيت القصيد في هذا الموضوع فإنه يؤثر في تركيبة الجسم بمختلف أشكالها وكما يأتي:

١- عدم الهدوء والقرار مما يؤدي إلى التأثير في الحواس والهضم والبدن بشكل عام.

٢-تأثير الشمس المستمر على أجسام الحيوانات والنباتات.

والملاحظ أن الإمام عليه السلام ضرب مثلاً قريباً من الواقع أيضاً لبيان الموضوع وهو كيفية استعمال السراج في البيت لتقضى الحاجة فيه ثم يغيب.

بل أن الإمام عليه السلام أشار كذلك بما يرتبط بموضوع النهار والليل إلى فلسفة اختلاف مواضع شروق الشمس وغروبها وكيف عدّ ذلك وفق مفهوم علمي توازني لخدمة الإنسان ، وقد ظهر ذلك في كلام الإمام عليه السلام مع المفضل إذ قال عليه السلام" أنظر إلى شروقها في العالم كيف دبر أن يكون؟ فإنها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات ، لأن الجبال والجدران كانت تحجبها عنها ، فجعلت تطلع أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه

المغرب ، ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة ، حتى تنتهي إلى المغرب ، فتشرق ما استتر عنها في أول النهار ، فلا يبقى موضع من المواضع إلا أخذ بقسطه من المنفعة منها ، والأرب التي قدرت له. ولو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء؟ أفلا ترى كيف كان يكون للناس هذه الأمور الجليلة لم يكن عندهم فيها حيلة".(١)

٢- المقادير والقياسات

تعد المقادير والقياسات من صور التوازن العلمي التي تمثل فلسفة وسبباً في الكثير من الظواهر ، وهذه المقادير هي التي أشار لها الإمام عليه السلام في أكثر من مناسبة ، ومنها كلامه عن مقادير المطر بقوله عليه السلام: "ثم إنه حين قدر له أن ينحدر على الأرض انحدارا جعل ذلك قطر شبيهاً بالرش ليغور في قطر الأرض فيرويها ، ولو كان يسكبه انسكاباً كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها ثم كان يحطم الزرع القائمة إذ تدفق عليها فصار ينزل نزولاً رقيقاً فينبت الحب المزروع ويحيي الأرض والزرع القائم"(٢).

وتقوم هذه الفلسفة على جملة أمور:

١- أن مقادير قطرات المطر وقياساتها أصبحت بهذا الشكل

---

(١) المفضل، التوحيد، ص: ٨١ ؛ ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ١٧٦/٥.

(٢) المصدر نفسه، ١٢٦/٣.

(الرش) لكي يغور في التربة لأن الانسكاب لا يؤدي لذلك إلا النزول الرقيق.

٢- إن الانسكاب يجرف التربة ويحطم الزرع.

وأمر التقدير والقياس ينطبق أيضاً في مدى لين التربة ويبسها فقد أصبح ذلك كفلسفة لخدمة الإنسان إذ قال عليه السلام" أفرأيت لو أن اليبس أفرط على الأرض قليلاً حتى تكون صلداً أكان ثبت هذا النبات الذي به حياة الحيوان؟ وكان يمكن بها حرث أو بناء؟ أفلا ترى كيف تنصب من يبس الحجارة فجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة ولتهيأ للاعتماد".(١)

وفلسفة هذا التقدير حسب السياق المذكور هي:

١- لولا هذا اللين والقياس المناسب بالنسبة لليبس لما ثبت النبات على التربة ولما كانت حياة.

٢- اختلاف الحاجة للتربة بين اللين واليبس وبتنوع الاستخدام.

ولعل أهم ما يوضح هذه التقديرات هو ذلك التوازن العلمي التكاملي الذي أشار إليه الإمام عليه السلام في حديثه عن فلسفة الفصول الأربعة ، وهي فلسفة متنوعة وشاملة لكل مظاهر الحياة إذ قال الإمام الصادق عليه السلام للمفضل "ثم فكر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما

---

(١) المفضل، التوحيد، ص: ٨٦؛ ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ١٨٨/٣، الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية١٩٠/٣.

في ذلك من التدبير والمصلحة ، ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات ، فيتولد فيهما مواد الثمار ، ويتكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر ، وتشتد أبدان الحيوان وتقوى ، وفي الربيع تتحرك وتظهر المواد المتولدة في الشتاء ، فيطلع النبات ، وتنور الأشجار ويهيج الحيوان للسفاد ، وفي الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار ، وتتحلل فضول الأبدان ، ويجف وجه الأرض ، فتهيأ للبناء والأعمال ، وفي الخريف يصفو الهواء ، وترتفع الأمراض ، وتصح الأبدان ، ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله ، ويطيب الهواء فيه إلى مصالح أخرى لو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام".[1]

وتقوم هذه الفلسفة على أساس التوازن في التعاقب وهو توازن علمي قائم على ما يأتي:

١- الحاجة إلى فصل الشتاء لتعود الحرارة في الشجر والنبات وتنتج الثمار ، وأيضاً في هذا الفصل(الشتاء) يتكاثف الهواء لينشأ منه السحاب والمطر ، وكذلك تشتد أبدان الحيوانات.

٢-في فصل الربيع ينمو النبات وتورق الأشجار وتتكاثر الحيوانات.

٣- في الصيف تنضج الثمار بسبب الهواء ويتخلص البدن من الفضلات وتجف الأراضي ليكثر البناء.

---

(١) المفضل، التوحيد، ص: ٨٠ ؛ ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ١٧٦/٥٥.

٤- في الخريف صفاء الهواء والتخلص من الأمراض فضلاً عن امتداد الليل بما يسهل استغلاله للعمل في بعض الأمور.

ومما يؤكد هذا النوع من التوازن العلمي هو حديث الإمام الصادق عليه السلام عن فلسفة وجود الريح أو الهواء حينما يقول "وأنبئك عن الهواء بخلة أخرى ، فإن الصوت أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء ، والهواء يؤديه إلى المسامع والناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم ، فلو كان أثر الكلام يبقى في الهواء ، كما يبقى الكتاب في القرطاس ، لامتلأ العالم منه ، فكان يكربهم ويفدحهم".[١] وهنا دلالة على أن للهواء قيمة وفائدة في تصفية الأجواء من الكلام الثابت في حال عدم تحريكه ولسبب ضجة كبيرة لا يمكن معالجتها.[٢]

خامساً: فلسفة التوقيتات الزمانية والاستدلالات المكانية

ويقصد بتلك الفلسفة ما طرحه الإمام عليه السلام في بيان الفائدة والفلسفة المستفادة من بعض الظواهر ، وهي معرفة التوقيت والاستدلال على الطرق وكما يأتي:

---

(١) المفضل، التوحيد ، ص: ٨٩ ؛ ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ٥٧/٧.

(٢) ينظر د.حميد سراج، وزينب مهدي، المنظومة البيئية في فكر أئمة أهل البيت عليهم السلام، جميع صفحاته.

١- التوقيتات الزمنية

وأول ما يطالعنا في ذلك ما قاله الإمام عليه السلام للمفضل بخصوص حركة الشمس "فكر الآن في تنقل الشمس في البروج الأثني عشر لإقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير. فهو الدور الذي تصح الأزمنة الأربعة من السنة" الشتاء والربيع والصيف والخريف" تستوفيها على التمام، وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار، وتنتهي إلى غاياتهم ثم تعود فيستأنف النشو والنمو . . ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل، فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم، إلى كل وقت وعصر من غابر الأيام، وبها يحسب الأعمار والأوقات المؤقتة للديون والإجارات والمعاملات، وغير ذلك من أمورهم، وبمسير الشمس تكمل السنة، ويقوم حساب الزمان على الصحة".[١]

ويلاحظ أن العنصر الأهم في كل ما ذكر هنا هو معرفة الزمن والتوقيت، أي تحديد الأوقات التي تتم عن طريق حركة الشمس وتعاقب الفصول وبها تعرف السنين والشهور والأيام.[٢]

الأمر الثاني الذي ذكره الإمام عليه السلام والذي يوضح هذه التوقيتات هو ما يخص الاعتماد على القمر في معرفة الشهور، إذ

---

(١) المفضل، التوحيد ص٨١. ينظر: المجلسي، بحار الأنوار ، ١٧٦/٥٥.

(٢) أشار القرآن الكريم لهذه الحقيقة في سورة الأنبياء آية ٣٣ وسورة ياسين آية ٤٠ مثلاً".

قال عليه السلام "استدل بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامة في معرفة الشهور ، ولا يقوم عليه حساب السنة ، لأن دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة ونشو الثمار وتصرمها ، ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلف عن شهور الشمس وسنيها ، وصار الشهر من شهور القمر ينتقل ، فيكون مرة بالشتاء ومرة بالصيف".[1]

أي أن الناس تستعمل القمر في معرفة الشهور حصراً وليس على حساب السنة ، ومن هنا كان هناك اختلاف عن الشهور الشمسية وسنيها.

٢- الاستدلالات المكانية

وقد جسدها الإمام الصادق عليه السلام ببيان فلسفة وجود النجوم وترتيبها واختلاف مسارها إذ قال عليه السلام "..فإن قال قائل: ولما صار بعض النجوم راتباً وبعضها منتقلاً؟ قلنا: إنها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المنتقلة ، ومسيرها في برج من البروج ، كما يستدل بها على أشياء مما يحدث العالم ، بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ، ولو كانت كلها منتقلة ، لم يكن لمسيرها منازل تعرف ، ولا رسم يوقف عليه ، لأنه إنما يوقف عليه بمسير المنتقلة منها بتنقلها البروج الراتبة ، كما يستدل على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها أو لو

---

(١) المفضل، التوحيد، ص: ٨١ ؛ ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ١٧٧/٥٥.

كان تنقلها بحال واحد لاختلاط نظامها ، وبطلت المآرب فيها ، ولساغ القائل أن يقول إن كينونتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفنا ، ففي اختلاف سيرها وتصرفها وفي ذلك من المآرب والمصلحة ، أبين دليل على العمد والتدبير فيها".[1]

مما يدل على تلك الفائدة والفلسفة في وجودها وهي للدلالة أو الاستدلال الذي بان واضحاً فيما ذكره الإمام عليه السلام بمناسبة أخرى عند حديثة مع المفضل "فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب بعضها كمثل الثريا والجوزاء والشعريين وسهيل ، فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس ، ويهتدون بها لبعض أمورهم ، كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت ، واحتجابها إذا احتجبت ، فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقت الوقت غير الوقت الآخر ، لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد على حدته ، وما جعلت الثريا وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب حيناً إلا لضرب من المصلحة ، وكذلك جعلت بنات نعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة ، فإنها بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة ، وكذلك أنها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاءوا ، وصار الأمران جميعاً على اختلافهما موجهين نحو

---

(١) المفضل، التوحيد ص٨٤.

الأرب والمصلحة ، وفيهما مآرب أخرى علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال ، كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر ، وأشياء مما يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحر والبرد ، وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل ، لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة ، مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة".[١]

ويحمل هذا النص بين طياته فوائد استدلالية كثيرة بالنجوم وهي تعبير واضح عن فكرة الفلسفة ذات الأبعاد العلمية المفيدة للإنسان في طرح الإمام الصادق عليه السلام.

سادساً : فلسفة توازن الخلقة وطبيعة التكوين

ويمكننا أن نطلع على هذا المفهوم التوازني من النصوص الكثيرة التي وردت في كلام الإمام عليه السلام مع المفضل ، إذ أنها شملت طبيعة تكوين النباتات وكيفيتها وسبب هذا التكوين فقد قسم الإمام عليه السلام كلامه إلى مراحل عدة ، وهذه المراحل بينت طبيعة خلق الله تعالى القائمة على فلسفة متكاملة الهدف منها خدمة الكائنات الحية ، وقد ظهر هذا الموضوع في كلامه عليه السلام وفق الصور الآتية:

---

(١) المفضل، التوحيد ص٨٥.

١- صيانة النباتات

وهي ما ذكره الإمام عليه السلام عن طبيعة خلق هذه النباتات بشكل يحافظ عليها وعلى إنتاجها ، ويتضح ذلك من قوله عليه السلام "تأمل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلاء وما أشبه فإنها تخرج في أوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات إلى أن تشتد وتستحكم ، كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه ، وأما البر وما أشبهه فإنه يخرج مدرجاً في قشور صلاب على رؤوسها أمثال الأسنة من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزراع فإن قال قائل: أو ليس قد ينال الطير من البر والحبوب؟ قيل له: بلى على هذا قدر الأمر فيها ، لأن الطير خلق من خلق الله تعالى وقد جعل الله تبارك وتعالى له في ما تخرج الأرض حظاً ولكن حصنت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكن فيعبث بها ويفسد الفساد الفاحش. فإن الطير لو صادف الحب بارزاً ليس عليه شيء يحول دونه لأكب عليه حتى ينسفه أصلاً ، فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت ، ويخرج الزراع من زرعه صفرا ، فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه ، فينال الطائر منه شيئاً يسيراً يتقوت به ، ويبقى أكثره للإنسان ، فإنه أولى به ، إذ كان هو الذي كدح فيه وشقي به ، وكان الذي يحتاج إليه أكثر مما يحتاج إليه الطير".[1]

---

(١) المفضل، التوحيد ص١٠١- ١٠٢.

وهـذه حكمـة في الخلـق تسـتدعي التوقـف والـتفكير في قـدرة الحكيم ، ففلسفة هذا الخلق تحافظ على النبات وعلى الحيوان وعلى الإنسان وكل بحسب حاجته.

٢- عروق النباتات وأوراقها

إذ بيّن الإمـام الصـادق عليـه السـلام الحكمـة الإلهيـة في طبيعـة تكوين النبات بشكل يحصل فيه على غذائه ويحافظ على استقراره إذ قـال عليـه السـلام "تأمـل الحكمـة في خلـق الشـجر وأصـناف النبات ، فإنها لما كانت تحتاج إلى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ، ولم يكـن لهـا أفـواه كـأفواه الحيـوان ولا حركـة تنبعـث بهـا لتنـاول الغذاء ، جعلت أصولها مركوزة في الأرض لتنزع منـها الغـذاء فتؤديـه إلى الأغصـان ومـا عليهـا مـن الـورق والثمـر فصـارت الأرض كـالأم المربية لها ، وصارت أصولها التي هي كالأفواه ملتقمة للأرض لتنزع منها الغذاء ، كما ترضع أصناف الحيـوان أمهاتهـا ، ألم تـر إلى عمـد الفساطيط والخيم كيف تمد بالأطناب من كل جانب لتثبت منتصبة فلا تسقط ولا تميـل ، فهكـذا تجـد النبـات كلـه لـه عـروق منتشـرة في الأرض ممتدة إلى كـل جانـب لتمسـكه وتقيمـه ، ولـولا ذلـك كيـف يثبت هذا النخل الطوال والـدوح العظام في الـريح العاصـف؟. فـانظر إلى حكمـة الخـالق كيـف سبقت حكمـة الصـناعة فصـارت الحيلـة التي تستعملها الصناع في ثبات الفساطيط والخيم ، متقدمـة في خلـق الشجر ، لأن خلق الشـجر قبـل صـنعة الفسـاطيط والخيـم... ألا تـرى

ممدها وعيدانها من الشجر ، فالصناعة مأخوذة من الخلقة خلق الورق ووصفه ، تأمل يا مفضل خلق الورق فإنك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع ، فمنها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها ، ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معجماً.[1]

وقال عليه السلام في ذلك أيضاً "لو كان مما يصنع بالأيدي كصنعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل ، ولاحتيج إلى آلات وحركة وعلاج وكلام ، فصار يأتي منه في أيام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الأرض كلها بلا حركة ولا كلام ، إلا بالإرادة النافذة في كل شيء والأمر المطاع.. وأعرف مع ذلك العلة في تلك العروق الدقيقة ، فإنها جعلت تتخلل الورقة بأسرها ، لتسقيها وتوصل الماء إليها ، بمنزلة العروق المبثوثة في البدن ، لتوصل الغذاء إلى كل جزء منه ، وفي الغلاظ منها معنى آخر ، فإنها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها ، لئلا تنهتك وتتمزق ، فترى الورقة شبيها بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب.. فالصناعة تحكي الخلقة وإن كانت لا تدركها على الحقيقة".[2]

أي أن الإمام عليه السلام ذكر الكيفية وهي انتشار العروق في

---

(١) المفضل، التوحيد ص ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

الأرض والسبب هو مسك النبات وتقييمه ، فضلاً عن الآثار وهي ثبات النخيل والأشجار بوجه الظروف والرياح ، وكل هذا إلى جانب كون طبيعة التكوين هذه لحصول النبات على الغذاء وبصور عدة تخص العروق ، وكذلك ما يخص الأوراق التي تحدى بها الله تعالى أن يصنع مثلها وهذا ما أكده الإمام عليه السلام في كلامه.

٣- نوى النبات

وقد اهتم الإمام عليه السلام بذكرها لأن فيها فلسفة علمية دالة على عظم التقدير ، إذ قال الإمام عليه السلام للمفضل "فكر في هذا العجم والنوى والعلة فيه ، فإنه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس إن عاق دون الغرس عائق ، كما يحرز الشيء النفيس الذي تعظم الحاجة إليه في مواضع آخر ، فإن حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد في موضع آخر ، ثم هو بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقتها ، ولولا ذلك لتشدخت وتفسخت ، وأسرع إليها الفساد وبعضه يؤكل ويستخرج دهنه ، فيستعمل منه ضروب من المصالح ، وقد تبين لك موضع الأرب في العجم والنوى. فكر الآن في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطبة ، وفوق العجم من العنبة ، فما العلة فيه؟ ولما ذا يخرج في هذه الهيئة؟ وقد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكل كمثل ما يكون في السدر والدلب وما أشبه ذلك. فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم

اللذيذة ، إلا ليستمتع بها الإنسان".[1] وهنا فقد ربط الإمام عليه السلام بين أفكار كثيرة تتعلق بطبيعة الفائدة في نوى الثمار من حيث:

١- أن النوى أداة للنمو والغرس تعمل عمل الغرس نفسه.

٢- أن النوى ذو طبيعة صلبة ومن ثم تمسك اللين في الثمر.

٣- بعض النوى قابل للأكل ويستفاد منه ذلك.

٤- طبيعة تكوين بعض النباتات أو الثمار.

أ- الرمان: ويقول عليه السلام فيها "واعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها من أثر العمد والتدبير ، فإنك ترى فيها كأمثال التلال ، من شحم مركوم في نواحيها ، وحب مرصوف صفا كنحو ما ينضد بالأيدي ، وترى الحب مقسوماً إلى أقسام ، وكل قسم منها ملفوفاً بلفائف من حجب منسوجة أعجب النسج وألطفه وقشره يضم ذلك كله . فمن التدبير في هذه الصنعة إنه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمانة من الحب وحده ، وذلك أن الحب لا يمد بعضه بعضاً ، فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء . ألا ترى أن أصول الحب مركوزة في ذلك الشحم ، ثم لف بتلك اللفائف لتضمه وتمسكه فلا يضطرب ، وغشى فوق ذلك بالقشرة المستحصفة لتصونه وتحصنه من الآفات ، فهذا قليل من كثير من

---

(١) المفضل، التوحيد ص ١٠٣- ١٠٤. وينظر المجلسي، البحار ١٢٣/٣.

وصف الرمانة ، وفيه أكثر من هذا لمن أراد الإطناب والتذرع في الكلام ، ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار".[1] أي أن السبب علمي في تكوين الرمان وذلك للحفاظ على الثمرة وتماسكها وفائدتها ، إذ لا تدخل العشوائية في خلقها .

ب- اليقطين: وهذه الشجرة هي إيحائية لثمار عدة كبيرة تحتاج إلى وضع خاص بسبب ثقلها إذ يقول الإمام الصادق عليه السلام للمفضل " فكر يا مفضل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ وما في ذلك من التدبير والحكمة ، فإنه حين قدر أن يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطاً على الأرض ، ولو كان ينتصب، قائماً كما ينتصب الزرع والشجر ، لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ، ولتقصف قبل إدراكها وانتهائها إلى غاياتها.. فانظر كيف صار يمتد على وجه الأرض ليلقي عليها ثماره فتحملها عنه فترى الأصل من القرع والبطيخ مفترشاً للأرض ، وثماره مبثوثة عليها وحواليه كأنه هرة ممتدة ، وقد اكتنفتها جراؤها لترضع منها".[2] وهذه الحكمة هي التي جعلت شكل النبات من هذا النوع بتلك الكيفية والصورة المرئية بالاستناد على الأرض.

ج- النخيل: وقد بين الإمام عليه السلام فلسفة شكله وتركيبة

---

(١) المفضل، التوحيد ص ١٠٤- ١٠٥

(٢) ينظر المجلسي، البحار ١٣٢/٣.

في كلامه للمفضل "فكر يا مفضل في النخل ، فإنه لما صار فيه إناث تحتاج التلقيح جعلت فيه ذكورة اللقاح من غير غراس ، فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان الذي يلقح الإناث لتحمل وهو لا يحمل . تأمل خلقة الجذع كيف هو؟ فإنك تراه كالمنسوج نسجاً من خيوط ممدودة كالسدى وأخرى معه معترضة كاللحمة كنحو ما ينسج ، بالأيدي وذلك ليشتد ويصلب ولا يتقصف من حمل القنوات الثقيلة وهز الرياح العواصف إذا صار نخلة وليتهيأ للسقوف والجسور وغير ذلك مما يتخذ منه إذا صار جذعا".[1]

وقال أيضاً عنها "وكذلك ترى الخشب مثل النسج فإنك ترى بعضه مداخلاً بعضه بعضاً طولاً وعرضاً كتداخل أجزاء اللحم ، وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذ منه من الآلات فإنه لو كان مستحصفاً كالحجارة لم يمكن أن يستعمل في السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشبة كالأبواب والأسرة والتوابيت وما أشبه ذلك... ومن جسيم المصالح في الخشب أنه يطفو على الماء ، فكل الناس يعرف هذا منه ، وليس كلهم يعرف جلالة الأمر فيه ، فلولا هذه الخلة كيف كانت هذه السفن والأظراف تحمل أمثال الجبال من الحمولة ، وأنى كان ينال الناس هذا الرفق وخفة المؤنة في حمل التجارات من بلد إلى بلد ، وكانت تعظم المؤنة عليهم في حملها

---

(١) المفضل، التوحيد ص ١٠٦.

حتى يلقي كثير مما يحتاج إليه في بعض البلدان مفقودا أصلاً ، أو عسر وجود!!.[1]

ولا ريب أن الفلسفة واضحة المعالم فيما أراده الإمام عليه السلام ولاسيما في طبيعة تكاثر هذه النخلة وفي صورة فائدتها للناس بكل أشكال الفائدة ، ولاسيما الأخشاب ووفق الشكل الذي يراعي حتى مسألة النقل والتحريك والاستخدام.

---

(١) المفضل، التوحيد ص ١٠٧.

فلسفة التركيب البايلوجي للإنسان في فكر الإمام الصادق عليه السلام

من المعلوم أن الإمام الصادق عليه السلام مثّل الصورة الناصعة للمنهج العلمي بكل أطرافه ، سواء ما كان يتعلق بالعلوم البحتة أم العلوم المتعلقة بها ، فالعلم الخاص بتركيبة جسم الإنسان وتكويناته البايلوجية لم يكن علماً غريباً عن توجه الإمام الصادق عليه السلام ، إذ أنه عليه السلام تناول كل تفاصيله دون أن يترك مجالاً أو فجوة يتميز بها من جاء بعده ، وهذا الأمر هو من أساسيات مدرسة الإمام عليه السلام ، لأن ما يخص هذا الموضوع درّس لتلاميذ هذه المدرسة حتى عرف به الإمام عليه السلام من ناحية تصنيفه علماً جديداً على الواقع آنذاك ، وعلى العقليات المنغلقة على علوم كلاسيكية إذا جاز أن نسميها علوماً ، لأنها لا تخرج في أغلب الأحيان عن العلوم الدينية وبعض الإشارات العشوائية غير المترابطة التي ثبت عدم صحتها بعد أن تصدى الإمام عليه السلام للموضوع.

والأمر الذي يزيد أهمية طرح الإمام عليه السلام هو أنه لم يقتصر على وصف التركيب البايلوجي لجسم الإنسان وبيان جزئياته التي تحتاج إلى مختبر فحسب ، وإنما تحدث عن فلسفة هذا التركيب أي أسبابه وعلله ، وهذه الفلسفة هي التي سنحاول دراستها وتسليط الضوء عليها لبيان عظيم قدرة الله تعالى بهذه التكوينات ، وبيان ذلك العلم الإلهي أللدني من الإمام الصادق عليه السلام ، والذي لم يترك الأمر دون ذكر محدداته بل تناول كافة جزئياته على اختلاف أشكالها.

وقد تنوعت الفلسفة والعلة التي ذكرها الإمام عليه السلام من موضوع لآخر ، إذ أن الدراسة التي بين أيدينا شخصت عدة أنواع منها ، مثل الفلسفة البايلوجية البحتة أي أن الجانب البايلوجي وطبيعة المرحلية في التركيب هي الحاكمة في صفة هذا الجزء من الجسم أو ذاك وشكله وعمله ، وهذا ما وجدناه واضحاً في كلام الإمام عليه السلام عن فلسفة الإنشاء وتصوير الجنين ، ومراحل الولادة والتغذية والنمو ، فضلاً عن الهيئة أو الصورة والشكل ، وكذلك تركيب أعضاء الجسم وعمل أجهزته وفلسفة الحفاظ عليها وغير ذلك.

النوع الآخر هو الفلسفة الدينية وهي فلسفة حاضرة في كلام الإمام الصادق عليه السلام عن تركيبة جسم الإنسان ولا سيما ما يتعلق بالمقصد الديني الوعظي من الخصوصيات التركيبية لبعض الناس كفاقدي البصر أو الأطراف أو العقل أو ممن فقد بعض

الحواس بشكل عام ، وكيف أن الغاية الوعظية في بعض الأمثلة ومقصد الاختبار والإثابة في أمثلة أخرى هي التي مثلت الفلسفة من هذه الحالاتِ كما أشار الإمام عليه السلام.

أيضاً لا ننسى الفلسفة المعرفية وهي هدف يخص بعض أشكال التركيب البايلوجي ، إذ أن الإمام عليه السلام بيّن هذه الفلسفة بشكل يفسر التكوين الذي ذكره الإمام عليه السلام ولاسيما ما يخص العقل وضعفه بالنسبة للمولود وأسباب ذلك ، فضلاً مسألة الحفظ والنسيان والفكر بصورة عامة ، وهناك جانب آخر من جوانب الفلسفة المعرفية يتعلق بما أطلقنا عليه التكامل بين الأعضاء المكونة لجسم الإنسان ومحيطها الخارجي إذ أن هذا التكامل هو الذي مثّل الفلسفة المعرفية ، وغير ذلك.

وهناك نوع آخر من أنواع الفلسفة التي فسرّ بها الإمام الصادق عليه السلام تكوين بعض أعضاء جسم الإنسان ومكوناته وهي التي أسميناها الفلسفة الصحية أو الطبية وهي العامل الذي ذكره الإمام عليه السلام لبيان أسباب بعض الحالات والعمليات البايلوجية في جسم الإنسان مثل فلسفة بكاء الطفل الرضيع وبعض حالاته الأخرى ، فضلاً عن بعض أنواع الآلام والأمراض التي تصيب جسم الإنسان عامة.

وإلى جانب الأنواع السالفة فهناك الفلسفة الاقتصادية والتي تتعلق بطبيعة التركيب التي تساعد على أداء الحركات الإنتاجية واستحصال الرزق وما إلى ذلك ، فضلاً عن الفلسفة الاجتماعية

بوصفها سبباً في تكوينات بعض جوانب التركيب البايلوجي لجسم الإنسان وصورها وشكلها كوجود العقل مثلاً عند الرضيع ، ومن ثم استغناءه عن والديه وإطلاعه على ما لا يجوز الإطلاع منه عليه كلحظات الولادة وغير ذلك.

وفي تفاصيل الموضوع الكثير من الصور التي أوضحت تلك الفلسفة العلمية فيما طرحه الإمام الصادق عليه السلام عن طبيعة التركيب البايلوجي للإنسان ، ولعل الإطلاع على هذه التفاصيل يؤكد الفكرة ويزيد الوضوح فيها.

أولاً : الفلسفة المعرفية

تمثل الفلسفة المعرفية أنموذجاً مهماً للأسباب والعلل التي جاءت طبيعة الخلقة من ورائها إذ أبرز الإمام عليه السلام صوراً رائعة عن الآثار المعرفية في الكثير من الأمثلة المطروحة عن تركيب جسم الإنسان وتكوينه ، ومن الأمور التي تجسد هذا الأمر خير تجسيد ما ذكره الإمام عليه السلام عن فلسفة غياب العقل عن المولود وعدم ولادته فهماً عاقلاً ، إذ علّل عليه السلام ذلك قائلاً(.. ولو كان المولود يولد فهما عاقلاً ، لأنكر العالم عند ولادته ولبقي حيراناً تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف ، وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير ، إلى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم ، واعتبر ذلك بأن من سبي بلد وهو عاقل ، يكون كالواله الحيران فلا يسرع إلى تعلم الكلام وقبول الأدب ، كما

يسرع الذي سبي صغيراً غير عاقل، ثم لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مرضعاً معصباً بالخرق مسجى في المهد لأنه لا يستغني عن هذا كله، لرقة بدنه ورطوبته حين يولد، ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج إلى الدنيا غبياً غافلاً عما فيه أهله، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة، ثم لا يزال يتزايد في المعرفة قليلاً قليلاً، وشيئاً بعد شيء، وحالاً بعد حال: حتى يألف الأشياء، ويتمرن ويستمر عليها، فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها إلى التصرف، والاضطرار إلى المعاش بعقله وحيلته، وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية..)[1].

وتأتي أهمية هذا الموضوع من قلة الالتفات إليه أساساً لاسيما وأن طريقة طرحه وبيان فلسفته توحي بأنه يمثل مشكلة في حد ذاته إلا أن التدبير الإلهي كان حداً فاصلاً في هذا الإطار، ومن هنا نجد أن الإمام الصادق عليه السلام قد فصّل في بيان فلسفة ذلك التكوين عند المولود والذي غاب عنه التعقل، وقد صنفت تلك الفلسفة في كلام الإمام عليه السلام وفق عدة أمور تقوم على فرض وجود العقل وآثاره:

١- الصدمة والتخبط الكبير اللذين يصيبان المولود في حال كونه فهماً عاقلاً لأنه انتقل من عالم الظلمة إلى عالم النور

---

(١) المفضل، التوحيد ص ١٥.

واختلفت عليه الأشياء والأمور ، وقد مثل الإمام عليه السلام بمثال دال ورائع من الواقع ذلك بأن من سبي من بلد وهو عاقل ، يكون كالواله الحيران فلا يسرع إلى تعلم الكلام ، وقبول الأدب ، كما يسرع الذي سبي صغيراً غير عاقل.

٢- الضرر الآخر هو أن وجود العقل لدى المولود يعني عدم إمكانية استيعابه لمسألة التعامل معه كطفل مثل الإرضاع والحمل والنوم في المهد وما يترتب وما يرافق ذلك ، والمشكلة التي نقصدها أن رفضه هذه الأمور سيؤدي إلى هلاكه بسبب ضعف بدنه وعدم إمكانية التصرف.

٣- إن لغياب التعقل عند المولود تأثيراً في القلوب وفي المحيط ولاسيما عند أهله إذ لا يطلع على ما عندهم أولاً فيكون ضعيفاً ليس لديه معرفة ، وهو الأمر الذي يراعى عند المقابل والأهل مما يعني مراعاة هذا الكائن رعاية خاصة وهو الأمر الذي ربما لا يحدث في حالة تعقله أو على الأقل يقل الاهتمام.

٤- إن التعلم التدريجي أكثر تأثيراً وأثراً في شخصية الإنسان من التعقل الابتدائي ، إذ يتزايد الطفل في معرفته شيئاً بعد شيء حتى يتمرن ، فيتعلم التصرف وكيفية استخدام عقله.

الفلسفة المعرفية التكاملية

وهناك نوع من أنواع الفلسفة السببية التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام وهي تخص ما أطلقنا عليه الفلسفة المعرفية التكاملية مع

المحيط وهي التركيب والتكوين الخلقي بما يتلاءم مع المحيط ، أو بما يؤثر ويتأثر به وهذه الكيفية والأسلوب التكاملي هما اللذان مثّلا الفلسفة التي أراد الإمام عليه السلام طرحها ، ومن تلك الصور ربط حواس الإنسان بمحسوسات خارجية تؤثر فيها أو هي مؤثرات خارجية بين الحواس والمحسوسات تجعل تلك الحواس قادرة على أداء عملها ، لذا قال الإمام الصادق عليه السلام(...فجعل لكل حاسة محسوساً يعمل فيه ولكل محسوس حاسة تدركه ، ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات ، لا تتم الحواس إلا بها ، كمثل الضياء والهواء ، فإنه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر ، لم يكن البصر يدرك اللون ، ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت إلى السمع ، لم يكن السمع يدرك الصوت . فهل يخفى عليه من صح نظره وأعمل فكره . إن مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقى بعضاً ، وتهيئة أشياء أخر بها تتم الحواس ، لا يكون إلا بعمل وتقدير من لطيف خبير).[1]

وإذا أردنا تفسير كلام الإمام عليه السلام وإيضاح المعاني في الفلسفة التكاملية التي أشار إليها يمكن الالتفات إلى ما يأتي:

١- أن هناك تكاملاً وارتباطاً وتناغماً بين الكائنات الحية وتركيبها والبيئة المحيطة بها وأن هناك نوعاً من التأثير المشترك.

---

(١) المفضل، التوحيد ص ٢٢.

٢- إن الفلسفة المذكورة أعلاه هي فلسفة تقوم على الأساس العلمي الذي لا ينفك عن كل الأمور التي تتعلق بالخلقة.(١)

٣- أن هناك علاقة بين الضوء والبصر وهي علاقة ذكرها الإمام عليه السلام بما يتوافق وإثباتات العلم الحديث وهي أن النظر يتم من خلال الضوء الساقط على العين(٢) ، وليس النظرة الخاطئة السابقة من أن البصر يتم عن طريق الضوء الخارج من العين.(٣)

٤- العلاقة التكاملية بين الصوت والهواء وارتباط السمع بالهواء بوصفه شرطاً وهي علاقة علمية ثابتة.(٤)

وإلى جانب كل ذلك فإن ما ذكره الإمام عليه السلام هو رد مباشر على القائلين بالصدفة ، وهو إشارة إلى تدبير الباري عز وجل لذا وجدنا الإمام عليه السلام يقول أن ذلك لا يكون إلا بعمل وتقدير من لطيف خبير.

---

(١) ينظر د.مفيد حنون، علم وظائف الأعضاء ص٧٦ وما بعدها، محمود قاسم، التشريح المقارن للحبليات ص٤٧٦ وما بعدها.

(٢) ينظر د.نور الدين عبد الله، فيزياء البصريات ص٦، د.حميد سراج، الفكر الاختباري في نهج البلاغة ص٧٤.

(٣) ينظر د.نور الدين عبد الله، فيزياء البصريات ص٧.

(٤) ينظر د.مفيد حنون، علم وظائف الأعضاء ص٧٦ وما بعدها، د.حميد سراج، الفكر الاختباري في نهج البلاغة ص١٣٩.

robert Anatomy head and neck .p77

معرفية الفكر والعقل والوهم والحفظ

وهناك في جانب الفلسفة المعرفية جزء مهم يتعلق بالإطار المعنوي الذي يخص قوى النفس من فكر وعقل ووهم ، وما يتعلق بذلك من حفظ ونسيان وما إلى ذلك وهي أمور ذكر الإمام عليه السلام أن لها فلسفة مؤثرة والعكس صحيح ، إذ أن التأثير السلبي المدمر هو النتيجة الحتمية لغياب تلك القوى ، ومن هنا فقد ذكر الإمام عليه السلام ذلك حينما قال للمفضل(تأمل يا مفضل هذه القوى في النفس ، وموقعها من الإنسان ، أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك ، أفرأيت لو نقص الإنسان من هذه الخلال الحفظ وحده ، كيف كانت تكون حاله ، وكم من خلل كان يدخل عليه في أموره ومعاشه وتجاربه ، إذا لم يحفظ ما له وما عليه وما أخذه وما أعطى وما رأى وما سمع وما قال وما قيل له ولم يذكر من أحسن إليه ممن أساء به ، وما نفعه مما ضره ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى ، ولا يحفظ علماً ولو درسه عمره ولا يعتقد ديناً ، ولا ينتفع بتجربة ، ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى بل كان حقيقاً أن ينسلخ من الإنسانية).[1]

أن أبرز ما يلاحظ على كلام الإمام عليه السلام أنه أشار في نهاية كلامه عن فلسفة قوة الحفظ إلى النتيجة الإجمالية لغياب

---

(١) المفضل، التوحيد ص٣٨. ينظر المجلسي، البحار٣/٨١، الريشهري، ميزان الحكمة ١/٦٤٦.

هذه الخاصية والقوة إذ وصف الإمام عليه السلام غيابها (بالانسلاخ من الإنسانية) وذلك بسبب عدة أمور يمكن أن نلمسها في كلام الإمام عليه السلام هي الجزئيات التي تمثل آثاراً سلبيه في غياب قوة الحفظ ويمكن إجمالها بما يأتي:

الأثر الأول هو عدم تمكن الإنسان من أن يحفظ ما له وما عليه ، وما يتبع ذلك من المشكلات الشخصية ومع الغير.

الأثر الثاني أن هذا الإنسان لا يتمكن من أن يحفظ ما أخذ وما أعطى على كافة المستويات سواء كانت المادية أم المعنوية.

الأثر الثالث عدم التمكن من حفظ ما يراه ولا ما يسمعه بمعنى عدم تمكنه من أداء أعماله بشكلها الصحيح لأنه لا يمتلك الخبرة والرؤية والسماع.

الأثر الرابع العشوائية والتخبط في الكلام لأنه لا يحفظ ما قال وما قيل له ، فيحكم على كل ما يطرح عليه بالأصالة كما أنه قد يكرر ما يقوله دون ان يرتب على كلامه السابق أثر يذكر.

الأثر الخامس أنه يتعامل مع الناس وفق اتجاه واحد لعدم تذكره من أحسن إليه ممن أساء له.

الأثر السادس أن هذا الإنسان لا يحفظ موارد النفع من موارد الضرر ، فقد يتضرر من حيث اعتقاده بالنفع.

الأثر السابع أن فاقد نعمة الحفظ كالتائه الذي لا يستطيع الاستدلال بالطريق لأنه بالحقيقة لا يعرفه وإن كان قد سلكه مرات عديدة.

الأثـر الثـامن أن هـذا الإنسـان لا يسـتطيع اسـتظهار علمـه واسـتعادته ، ونقصـد الـذي يدرسـه لأنـه لا يحفـظ علمـاً ، وأن درسـه طوال عمره.

الأثر التاسع وكأثر لما سبق وتحصيل حاصل أن هذا الإنسان لا يهتدي للدين لغياب المقدمات التي يحفظها عن ذلك.

الأثر العاشر أنه لا يستفيد من أخطائه أو مـن تجاربـه لأنـه أساساً لا يحفظها بسبب فقدان هذه النعمة.

الأثر الحادي عشر أنه لا يستطيع أخذ العبرة مما مضـى سـواءً مـن تعاملاته الشخصية أم من تعاملات غيره.

ومن هنا تبرز أهمية نعمة الحفظ وفلسفتها لأنْ دراسـة الآثـار السـلبية في فقدانها كفيلة بفهم تلك الفلسفة وتدبير الله تعالى في خلقه.

ولم يقتصر مـا ذكـره الإمـام عليـه السـلام عن هـذه الفلسـفة علـى مسـألة الحفـظ فحسـب ، وإنما تنـاول أيضـاً قـوة النسـيان وأثـر فقـدانها ومن ثم فلسفة إيداعها عند الإنسان ، إذ نجـد أن الإمـام عليـه السـلام قـال في ذلـك(..فـانظر إلى النعمـة علـى الإنسـان في هـذه الخـلال ، وكيـف موقـع الواحـدة منـها دون الجميـع ، وأعظـم مـن النعمـة علـى الإنسـان ، في الحفـظ النعمـة في النسـيان ، فإنـه لـولا النسـيان لما سـلا أحد عن مصيبة ، ولا انقضـت لـه حسـرة ، ولا مـات لـه حقـد ، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات ، ولا رجاء غفلة مـن سـلطان ، ولا فـترة مـن حاسـد. أفـلا تـرى كيـف جعـل في الإنسـان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان ، وجعـل لـه في كـل منـهما

ضرباً من المصلحة ، وما عسى أن يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين في هذه الأشياء المتضادة المتباينة ، وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة).[1]

وقد رد الإمام عليه السلام على من حاول أن يشرك بالخالق في هذا المقام فاستعمل نعمتي الحفظ والنسيان في إثبات وحدانية الله تعالى وقدرته في جمع المتضادين على إنهما متناغمان في الهدف والفلسفة ولعلنا أدركنا هذا الأمر حين دراستنا للآثار السلبية على فقدان نعمة الحفظ وهنا وحتى تتوضح الصورة يمكننا بيان فلسفة قوة النسيان وذلك بإبراز الآثار السلبية التي ذكرها الإمام عليه السلام في فقدان قوة النسيان أو عدم إيداعها لدى الإنسان ، وهي عدة أمور:

الأثر الأول: أن غياب قوة النسيان يؤدي إلى بقاء الإنسان متأثراً بمصائبه بشكل يؤثر في حياته في كل جوانبها.

الأثر الثاني: يبقى الإنسان متحسراً على ما فاته إلى درجة عدم انقضاء هذه الحسرة ، ومن ثم ما يترتب على ذلك من مشكلات.

الأثر الثالث: أن الإنسان الذي يعدم نعمة النسيان يبقى حاقداً على غيره أو بالأحرى لا يموت له حقد على الآخرين ، وكلا الأمرين متناغم.

---

(١) المفضل، التوحيد ص٣٨. ينظر المجلسي، البحار٣/٨١، الريشهري، ميزان الحكمة١/٦٤٦.

الأثر الرابع: أن الآفات التي تصيب الإنسان تكون حاضرة أمامه في كل حين إلى درجة أنه لا يتمتع بشيء من دنياه بسبب تذكر هذه الآفات وبأنواعها.

الأثر الخامس: أن هذا الإنسان يعيش في حالة من الترقب والخوف والهلع من السلطان دون أن ينسى أثر السلطان ليعيش حياته الطبيعية.

الأثر السادس: عدم زوال الخوف والأثر المترتب من الحسد وهو أمر يشبه ما ذكرناه في النقطة السابقة مع اختلاف المؤثر.

معرفية المنطق والكتابة

من الأمور المهمة عن الفلسفة المعرفية للخلقة ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام عن تميز الإنسان عن سائر الكائنات في مجال المنطق والكتابة، وهي أمور أنعم الله تعالى بها على عباده من البشر، لذا يقول الإمام عليه السلام في وصيته للمفضل عن ذلك المنطق (...تأمل يا مفضل ما أنعم الله- تقدست أسماؤه- على الإنسان، من هذا المنطق الذي يعبر به عما في ضميره، وما يخطر بقلبه، وينتجه فكره وبه يفهم عن غيره ما في نفسه، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة، التي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تفهم عن مخبر شيئاً)[1].

---

(١) المفضل، التوحيد ص٣٩. ألمجلسي، البحار٣/٨٢، النمازي، مستدرك سفينة البحار١٠/٨١، الحويزي، تفسير نو الثقلين٤/١٧٥، مركز المصطفى، العقائد الإسلامية١/١٠٥.

وهنا نجد أن الإمام عليه السلام قد حدد فلسفة وجود ذلك المنطق الذي ميّز الإنسان بجملة أمور:

١- إنه تعبير عما في ضمير الإنسان من الأمور التي تنسجم مع طبيعة توجهه الذي يحتاج أن يبرزه للآخرين.

٢- إنه أداة لبيان ما يخطر في قلبه ، وبمستويات متعددة تارة تكون عاطفية وتارة تكون باتجاه معاكس.

٣- هو أداة لطرح الفكر المنتج من الإنسان وبيان ما يريد إفهامه للآخرين من الناس بحسب ما تحدثه نفسه.

وقد رتب الإمام الصادق عليه السلام أثراً مهماً في غياب هذا المنطق ، وهذا الأثر يصيب العقل أساساً لأن ذلك الإنسان سوف يصبح كالبهيمة ، وهذا هو ما أراده الإمام عليه السلام في النص السابق عندما قال أنه لولا ذلك المنطق لكان الإنسان بمنزلة البهائم المهملة ، التي لا تخبر عن نفسها بشيء ، ولا تفهم عن مخبر شيئاً.

والأمر نفسه مع الكتابة التي أشار الإمام الصادق عليه السلام لفلسفتها حينما قال(..وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للآتين ، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها ، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ، ولولاه لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض ، وأخبار الغائبين عن أوطانهم ، ودرست العلوم ، وضاعت الآداب وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم ، وما

يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم ، وما روي لهم ، مما لا يسعهم جهله ، ولعلك تظن أنها مما يخلص إليه بالحيلة والفطنة ، وليست مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه).[1]

وهناك صور متعددة الجوانب في فلسفة معرفة الكتابة ، إذ أن الإمام عليه السلام لم يقصرها على جانب واحد وإنما تعددت وتنوعت ويمكن إجمالها بما يأتي:

١- الجانب التاريخي: ويقوم على أساس ما يأتي:

أ- إنها أداة لتدوين تاريخ الأمم القديمة والتواريخ المعاصرة لتكون عبرة لمن يعتبر من الناس.

ب- إنه لولا الكتابة لانقطعت الصلات بين الأزمان المختلفة ، وهذا عامل في اندثار الخبرة والتجربة والتكامل.

٢- الجانب العلمي يقوم على أساس ما يأتي:

أ- إن الكتابة تخلّد الكتب والمؤلفات والنتاجات في العلوم باختلافها فضلاً عن الآداب وغير ذلك.

ب- إن الكتابة تؤدي إلى عدم إندثار العلوم وضياع الآداب ، ولا نقصد حسب المقياس الزمني فحسب بل حتى المقياس الآني أو المعاصر.

---

(١) المفضل، التوحيد ص٣٩. ينظر الطريحي، مجمع البحرين ١٨/٤، المجلسي، البحار ٨٢/٣، النمازي، مستدرك سفينة البحار ٨١/١٠، الحويزي، تفسير نور الثقلين ١٧٥/٤.

ت- وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب.

٣- الجانب الديني ويقوم على عدة أمور:

أ- إن الكتابة أداة لحفظ الدين لأنها أداة لبيان الخلل في أمور الناس ومعاملاتهم ، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم.

ب- إنها أداة لتدوين ما يروى ويسمع من الدين حتى تكون هناك مصداقية لدى الناس بشكل لا يؤدي لاختلاف الأمور عليهم.

وقد ذكر الإمام عليه السلام هذين العنصرين بشكل مقارن لبيان أهميتهما وفلسفة وجودهما معاً وكيف أن أحدهما يكمل الآخر وذلك حينما قال عليه السلام .(كذلك الكلام ، إنما هو شيء يصطلح الناس ، فيجري بينهم ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة ، وكذلك كتابة العربي والسرياني والعبراني والرومي ، وغيرها من سائر الكتابات ، التي هي متفرقة في الأمم إنما اصطلحوا عليها ، كما اصطلحوا على الكلام ، فيقال لمن ادعى ذلك إن الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة ، فإن الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة ، عطية وهبة من الله عز وجل له في خلقه ، فإنه لو لم يكن له لسان مهيأ للكلام ، وذهن يهتدي به للأمور ، لم يكن ليتكلم أبداً ولو لم تكن له كف مهيئة وأصابع للكتابة ، لم يكن ليكتب أبداً ، واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة ، فأصل ذلك فطرة الباري جل وعز ، وما تفضل به على خلقه ، فمن

شكر أثيب ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾[1]

وتعدد الكلام والكتابة حسب سياق كلام الإمام الصادق عليه السلام إنما يعود لأسباب آنية تعود للمجتمعات نفسها ، أي أن المجتمعات هي من تصطلح الاصطلاحات في الكلام فتكون لغات مختلفة ، وكذلك بالنسبة للكتابة ، ومن هنا ينشأ الاختلاف إلا أنها في النهاية وسيلة التعبير عما يختلج في نفس الإنسان.

ومع كل ذلك فإن الكلام والكتابة يسيران بصورة تكاملية أيضاً مع تركيب الجسم وتكوينه فلولا وجود لسان مهيأ للكلام ، وذهنية وفكر منتجين لما استطاع الإنسان التعبير بهذه القوة المعنوية ، وكذا الحال بالنسبة للكتابة فلو لم تكن هناك كف مهيأة وأصابع لم يكن الإنسان ليكتب.

وما دون كل ذلك فإن انعدام وسيلة التعبير بالصورة التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام (الكلام والكتابة) فإن ذلك يعني إننا أمام بهائم لأن لها العامل المشترك الأساس مع هذا النوع من البشر.

وما يريد الإمام عليه السلام هو الإشارة إلى أن هذا التفضل من الله تعالى على خلقه يحتاج الشكر لأنه من باب الفطرة ، وبها تجسد للإنسان كل ما من شأنه أن يجعله خليفة الأرض بأمر الله تعالى.[2]

---

(١) المفضل، التوحيد ص٤٠. ينظر المجلسي، البحار ٨٢/٣.

(٢) قال تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون). البقرة/٣٠.

فلسفة إعطاء الإنسان علم ما يصلح به دينه ودنياه

أولاً: ما أعطاه من معرفة في صلاح دينه

لقد أعطى الله تعالى للإنسان علم جميع الأمور التي تحقق ارتباطه بدينه، وهذه فلسفة رئيسة في اتخاذ الإنسان للمنهج الذي يوصله إلى المعبود، فتعريف الإنسان لهذا العلم الذي يصلح دينه يفسر لنا كيف كان الباري سبحانه يريد تنمية العقل البشري، ليستدل على الصالح من الأمور، ويقول الإمام عليه السلام في هذا المقام(..فكر يا مفضل فيما أعطي الإنسان علمه وما منع، فإنه أعطي جميع علم ما فيه صلاح دينه ودنياه فمما فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى، وبالدلائل والشواهد القائمة في الخلق ومعرفة الواجب عليه، من العدل على الناس كافة، وبر الوالدين، وأداء الأمانة، ومواساة أهل الخلة، وأشباه ذلك، مما قد توجب معرفته، والإقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة، من كل أمة موافقة أو مخالفة).[1]

وأبرز الأمور التي علم الإنسان عليها وعرف بها بالشواهد:

١- معرفة الخالق سبحانه وتعالى.

٢- العدالة الاجتماعية.

٣- بر الوالدين.

---

(١) المفضل، التوحيد ص ٤٠- ٤١. ينظر المجلسي، البحار ٣/ ٨٢، مركز المصطفى، الهداية والإضلال صفحة التوحيد للمفضل

٤- أداء الأمانة.

٥- والصفات الاجتماعية الأخرى.

وكل هذه الأمور وغيرها هي لمعرفة الخالق سبحانه وتعالى والإقرار به وبوحدانيته.

ثانياً: ما أعطاه من معرفة في صلاح دنياه

أ- معرفة اقتصادية

ذكر الإمام عليه السلام ما أعطي الإنسان من معرفة بأمور حياته ولا سيما الاقتصادية منها لأنها عصب الحياة، وفلسفة ذلك أن يعرف قدره إذ حجبت عنه بعض الأمور التي تدفعه للعمل المادي والمعنوي لذا نجد الإمام عليه السلام قد قال(.. وكذلك أعطي علم ما فيه صلاح دنياه، كالزراعة والغراس، واستخراج الأرضيين، واقتناء الأغنام، والأنعام واستنباط المياه، ومعرفة العقاقير التي يستشفي بها من ضروب الأسقام، والمعادن التي يستخرج منها أنواع الجواهر، وركوب السفن، والغوص في البحر، وضروب الحيل في صيد الوحش والطير والحيتان، والتصرف في الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب، وغير ذلك مما يطول شرحه ويكثر تعداده، مما فيه صلاح أمره في هذه الدار، فأعطي علم ما يصلح به دينه ودنياه، ومنع ما سوى ذلك، مما ليس في شأنه ولا طاقته أن يعلم كعلم الغيب وما هو كائن، وبعضها قد كان أيضاً، كعلم ما فوق السماء وما تحت

الأرض ، وما في لجج البحار وأقطار العالم ، وما في قلوب وما في الأرحام وأشباه هذا مما حجب عن الناس علمه ، وقد ادعت طائفة من الناس هذه الأمور ، فأبطل دعواهم ما يبين من خطئهم ، فيما يقصون عليه ويحكمون به فيما ادعوا عليه. فانظر كيف أعطي الإنسان علم جميع ما يحتاج إليه لدينه ودنياه ، وحجب عنه ما سوى ذلك ، ليعرف قدره ونقصه وكلا الأمرين فيها صلاحه).(١)

ونلاحظ هنا أن الإمام عليه السلام لا يكاد يترك شيئاً من الأمور التي يعرفها الإنسان والتي عرّف بها لما فيه صلاح أمره في الدنيا وهذه هي فلسفة المعرفة ، أما ما حجب عنه فإن فيه صلاحه أيضاً ، وهي أنه سيعلم قدره وما يعرفه لأن ذلك سيكون بمثابة الوعظ والإرشاد ، لا سيما إذا ما عرفنا أن المحجوب من الأمور ربما تؤثر سلباً في حال معرفتها لأنها من الأمور التي لا يستوعبها العقل البشري فتكون عالة ونقص وليس صلاح لأن الصلاح في خفائها مثل علم الغيب وعلم كان وما سيكون.

ب- معرفة الأشياء المخلوقة لمآرب الإنسان

لقد ذكر الإمام عليه السلام الأشياء المخلوقة لمآرب الإنسان التي علمها الله تعالى لعباده ليهنأوا فيها وفتح له المجال لاستغلالها وفق شروط الاستغلال الصحيح أي العمل الذي يمثل الفلسفة المقصودة هنا إذ قال الإمام عليه السلام(..فكر يامفضل في هذه الأشياء التي

---

(١) المفضل، التوحيد ص٤١. ينظر المجلسي، البحار ٨٣/٣.

تراها موجودة معدة في العالم من مأربهم ، فالتراب للبناء. والحديد للصناعات ، والخشب للسفن وغيرها والحجارة للأرجاء وغيرها ، والنحاس للأواني ، والذهب والفضة للمعاملة والذخيرة ، والحبوب للغذاء ، والثمار للتفكه ، واللحم للمأكل ، والطيب للتلذذ ، والأدوية للتصحح والدواب للحمولة ، والحطب للتوقد والرماد للكلس ، والرمل للأرض ، وكم عسى أن يحصي المحصي من هذا وشبهه... أرأيت لو أن داخلا دخل داراً فنظر إلى خزائن مملوءة من كل ما يحتاج إليه الناس ، ورأى كل ما فيها مجموعاً معداً لأسباب معروفة أكان يتوهم أن مثل هذا يكون بالإهمال ، ومن غير عمد؟ فكيف يستجيز قائل أن يقول هذا من صنع الطبيعة في العالم ، وما أعد فيه من هذه الأشياء اعتبر يا مفضل بأشياء خلقت لمآرب الإنسان ، وما فيها من التدبير فإنه خلق له الحب لطعامه ، وكلف طحنه وعجنه وخبزه ، وخلق له الوبر لكسوته ، فكلف ندفه وغزله ونسجه ، وخلق له الشجر ، فكلف غرسها وسقيها والقيام عليها وخلقت له العقاقير لأدويته ، فكلف لقطها وخلطها وصنعها ، وكذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال. فانظر كيف كفى الخلقة التي لم يكن عنده فيها حيلة ، وترك عليه في كل شيء من الأشياء موضع عمل وحركة ، لما له في ذلك من الصلاح ، لأنه لو كفى كله ، حتى لا يكون له في الأشياء موضع شغل وعمل ، لما حملته الأرض أشرا وبطرا ولبلغ به ذلك إلى أن يتعاطى أموراً فيها تلف نفسه ، ولو كفى كل ما يحتاجون إليه لما تهنأوا بالعيش ولا وجدوا له لذة... ألا ترى لو أن

امرءاً نزل بقوم، فأقام حينما بلغ جميع ما يحتاج إليه من مطعم ومشرب وخدمة، لتبرم بالفراغ ونازعته نفسه إلى التشاغل بشيء، فكيف لو كان طول عمره مكفياً لا يحتاج إلى شيء؟ فكان من صواب التدبير في هذه الأشياء التي خلقت للإنسان: أن جعل له فيها موضع شغل، لكيلا تبرمه البطالة، ولتكفه عن تعاطي ما لا يناله، ولا خير فيه إن ناله).[1]

وعلى كل هذه المعرفة بالمآرب المخلوقة لخدمة الإنسان إلا أن الإمام ذكر أن العمل هو فلسفة التعامل معها إذ أن كل هذه الأمور لها طريق واحد هو طريق العمل والسعي وإلا فأن الإنسان لو ترك مع هذه المآرب دون جهد وتعب لما هدأ ولطغى في الأرض إذ حدد الإمام عليه السلام الآثار السلبية التي ستسود لو أن الإنسان قد كفي العمل بهذه الأمور وهي كما يأتي:

١- أن الأرض سوف لا تحمل هذا الإنسان لأنه سيكون أشراً بطراً إلى درجة أنه سيتلف نفسه ويهلك.

٢-لو كفي الإنسان كل ما يحتاج إليه لما تهنأ بالعيش ولا وجد اللذة في حياته وبكافة مستوياتها.

٣-إن البطالة سوف تكون مؤثرة في حياته وستؤدي إلى الأمور التي ذكرناها وغيرها.

---

(١) المفضل، التوحيد ص٤٤- ٤٥. ينظر المجلسي، البحار ٣/٨٦.

ث- معرفة ما ستر على الإنسان علمه

ومقصد هذه الفلسفة المعرفية هي بناء الإنسان وفق أطر سليمة نابعة من شخصيته ومعاناته وجهده ، لا أن يكون مدركاً عارفاً بكل تفاصيل عاقبته مما يولد آثاراً سلبية أشار لها الإمام عليه السلام في كلامه حينما قال(.. تأمل الآن يا مفضل ما ستر عن الإنسان علمه من مدة حياته ، فإنه لو عرف مقدار عمره - وكان قصير العمر - لم يتهنأ بالعيش ، مع ترقب الموت وتوقعه ، لوقت قد عرفه ، بل كان يكون بمنزلة من قد فنى ماله ، أو قارب الفناء ، فقد استشعر الفقر ، والوجل من فناء ماله وخوف الفقر على أن الذي يدخل على الإنسان فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال ، لأن من يقل ماله يأمل أن يستخلف منه ، فيسكن إلى ذلك ، ومن أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس وإن كان طويل العمر ، ثم عرف ذلك ، وثق بالبقاء ، وانهمك في اللذات والمعاصي ، وعمل على أنه يبلغ من ذلك شهوته ، ثم يتوب في آخر عمره. وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله ، ألا ترى لو أن عبداً لك عمل على أنه يسخطك سنة ويرضيك يوماً أو شهراً ، لم تقبل منه ، ولم يحل عندك محل العبد الصالح دون أن يضمر طاعتك ونصحك في كل الأمور؟ وفي كل الأوقات ، على تصرف الحالات(فإن قلت) أو ليس قد يقيم الإنسان على المعصية حيناً ثم يتوب فتقبل توبته؟ (قلنا): إن ذلك شيء يكون من الإنسان لغلبة الشهوات له وتركه مخالفتها من غير أن يقدرها نفسه ، ويبني عليه أمره ، فيصفح الله

عنه ، ويتفضل عليه بالمغفرة. فإما من قدر أمره على أن يعصي ما بدا له ، ثم يتوب آخر ذلك ، فإنما يحاول خديعة من لا يخادع ، بأن يتسلف التلذذ في العاجل ، ويعد ويمني نفسه التوبة في الآجل ، ولأنه لا يفي بما يعد من ذلك ، فإن النزوع الترفه والتلذذ ومعاناة التوبة ، ولا سيما عند الكبر وضعف البدن ، أمر صعب ، ولا يؤمن على الإنسان ، مع مدافعته بالتوبة أن يرهقه الموت ، فيخرج من الدنيا غير تائب ، كما قد يكون على الواحد دين إلى أجل ، وقد يقدر على قضائه ، فلا يزال يدافع بذلك حتى يحل الأجل ، وقد نفذ المال ، فيبقى الدين قائماً عليه. فكان خير الأشياء للإنسان أن يستر عنه مبلغ عمره ، فيكون طول عمره يترقب الموت ، فيترك المعاصي ، ويؤثر العمل الصالح).(1)

إن ملخص الفلسفة التي ذكرها الإمام عليه السلام عن هذا الموضوع وهو ما ستر على الإنسان علمه تلك المقارنة التي يمكن أن نوضحها من طرح الإمام عليه السلام لتتبين الصورة بشكل جلي والمقارنة هي بين معرفة مقدار العمر وهو عكس ما أراده الله تعالى ، وستر العمر عن الإنسان وهو الواقع ، إذ أن الآثار الناجمة عن كلا الأمرين توصل كلام الإمام عليه السلام بفلسفته التي نقصدها وكما يأتي:

---

(1) المفضل، التوحيد ص٤١-٤٢. ينظر المجلسي، البحار ٨٣/٣ ، الريشهري، ميزان الحكمة ٢١١٧/٣.

المعلومة	الأثر
معرفة مقدار العمر	١- لو عرف مقدار عمره وكان قصيراً لم يتهنأ بالعيش. ٢- يتوقع الموت ويترقبه. ٣- يكون كالذي افنى ماله واحس بالفقر فهو هنا افنى عمره واحس بالأجل. ٤- إذا عرف عمره وثق بالبقاء، وانهمك في الملذات والمعاصي، وعمل على انه يبلغ من ذلك شهوته، ثم يتوب في آخر عمره . وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله.
عدم معرفة العمر	١- يترقب الموت الذي لا يعرف وقته. ٢- يترك المعاصي. ٣- يعمل الأعمال الصالحة.

ثانياً: الفلسفة الدينية

أ- الأبعاد الفقهية

النوع الآخر من أنواع الفلسفة الخاصة بالتكوين والتركيب والخلقة الإنسانية هي الفلسفة الدينية ، أي الأسباب والعلل الدينية والغيبية التي جسّدها الإمام الصادق عليه السلام في كلامه ووصفه لتركيب جسم الإنسان ، وهي أمثلة متعددة يمكن أن نصل بها إلى الصورة التي أراد الإمام عليه السلام الإشارة إليها ، وأولها ما يتعلق

بعدم تعقل الطفل والذي ذكر قسماً منه في الجانب البايلوجي إلا أن ما يخصنا هنا هو عن الجزء الديني من فلسفة ذلك الأمر التي وضحها الإمام عليه السلام بشكل جلي عن الآثار الناجمة في حال تعقل المولود بقوله عليه السلام(...فلا يعرف الرجل أباه وأمه ، ولا يمتنع عن نكاح أمه وأخته ، وذوات المحارم منه ، إذا كان لا يعرفهن . وأقل ما في ذلك من القباحة ، بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع ، لو خرج المولود بطن أمه وهو يعقل ، أن يرى منها ما لا يحل له ، ويحسن به أن يراه).[1]

ارتبط كلام الإمام عليه السلام عن فلسفة هذا الأمر بالجانب الديني الفقهي في هذا المقام إذ أن المحاذير الدينية من تعقل المولود تقوم على فلسفة فقهية تتحدد بما يأتي:

١- أن تعقل الولد الذي سيكبر يؤدي إلى أنه لا يعرف أباه وأمه.

٢-إنه لا يمتنع عن نكاح أمه وأخته ، وغيرهما من المحارم.

٣-الأمر الآخر الذي لا يقل في قبحه عن الأمور السابقة هو أن الولد إذا خرج من بطن أمه وهو يعقل سوف يرى منها ما لا يحل له أن يراه.

---

(١) المفضل، التوحيد ص١٦. ينظر المجلسي، البحار ٦٤/٣، الريشهري، موسوعة العقائد ١٣٣/٢.

ب- الأبعاد الوعظية والإرشادية

الأمر الآخر الذي ذكره الإمام عليه السلام وقد اتضحت فيه الفلسفة الدينية هو ما يخص الجانب الوعظي من الدين ، وهي فلسفة مؤثرة ودالة ، إذ وضح الإمام عليه السلام ذلك في كلامه عن الإنسان الذي ليس له القدرة على البصر والسمع والتعقل ، إذ خاطب الإمام عليه السلام المفضل في البداية ببيان نعمة البصر والسمع والعقل قائلاً(... فكر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس. وما يناله من الخلل في أموره ، فإنه لا يعرف موضع قدميه ، ولا يبصر ما بين يديه ، فلا يفرق بين الألوان ، وبين المنظر الحسن والقبيح ، ولا يرى حفرة إن هجم عليها ولا عدوا إن أهوى إليه بسيف ، ولا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة والصياغة . حتى إنه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى. وكذلك من عدم السمع ، يختل في أمور كثيرة ، فإنه يفقد روح المخاطبة والمحاورة ، ويعدم لذة الأصوات واللحون المشجية والمطربة ، وتعظم المؤنة على الناس في محاورته . حتى يتبرموا به ، ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم ، حتى يكون كالغائب وهو شاهد ، أو كالميت وهو حي ، فإما من عدم العقل ، فإنه يلحق بمنزلة البهائم ، بل يجهل كثيراً مما تهتدى إليه البهائم ، أفلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل ، وسائر الخلال التي بها صلاح الإنسان ، والتي لو فقد منها شيئاً لعظم ما يناله في ذلك من الخلل ، يوافي خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئاً منها ، فلما كان

كذلك؟ إلا أنه خلق بعلم وتقدير).[1]

وقبل الخوض في الأسباب الدينية لمن فقد هذه النعم ينبغي أن نسلط بعض الضوء على فلسفة وجودها التي أشار لها الإمام عليه السلام ، إذ أنه وصف البصر وصفاً دقيقاً ووضع النتيجة والفلسفة النهائية للأمر وهي أن فقدان البصر يؤدي بالإنسان لأن يكون كالحجر الملقى ، لولا نفاذ ذهنه وهذا وصف عجيب ودال على تلك الفلسفة.

وكذا الحال بالنسبة للسمع الذي أشار الإمام عليه السلام إلى آثار فقدانه وهي عدة أمور غير أنها وصف الفقدان بالمجمل بأنه يؤدي إلى تبرم الناس من ذلك الشخص بل إنه يكون كالغائب على الرغم من وجوده ، والأدهى أن مجموع هذه الآثار يثبت أنه كالميت على الرغم من أنه حي.

والأصعب من كل ذلك فاقد العقل الذي وصفه الإمام عليه السلام بأنه كالبهيمة بهذا المقام ، بل إنه مع هذا الوصف فإن البهائم لها اهتداء أكثر منه في الكثير من الأمور التي يجهلها.

وفي محصلة القول أن فلسفة هذه النعم على الرغم من أنها فلسفة معرفية دالة إلا أنها في الوقت نفسه ترتبط بالجانب الديني الوعظي من ناحية كونها مفقودة عند بعض الناس ، إذ بين الإمام

---

(١) المفضل، التوحيد ص٢٣.. ينظر المجلسي، البحار ٣/٧٠، الريشهري، موسوعة العقائد ١/١٧٥.

عليه السلام فلسفة ذلك حينما سأله المفضل(.. فلما صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله من ذلك مثل ما وصفته يا مولاي؟ قال عليه السلام: ذلك للتأديب والموعظة لمن يحل ذلك به ولغيره بسببه كما يؤدب الملوك الناس للتنكيل والموعظة ، فلا ينكر ذلك عليهم ، بل يحمد من رأيهم ، ويتصوب من تدبيرهم. ثم إن للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت - إن شكروا وأنابوا - ما يستصغرون معه ما ينالهم منها ، حتى أنهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا أن يردوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب).[1]

وجواب الإمام عليه السلام الذي يقوم على الفلسفة الدينية الوعظية يندرج في عدة نقاط:

١- إن فلسفة هذا الأمر هو لموعظة الشخص نفسه وتأديبه ، وحتى يكون دافعاً له في علاقته مع الله تعالى ولا فرق في ذلك بين من ولد كذلك أم من طرأ عليه الأمر.

٢- إن هذا الفقدان هو تأديب للناس الآخرين حتى يكون ذلك موعظة لهم عندما يرون نعمهم مقابل ابتلاءات الناس.

٣- إن هذه الابتلاءات هي لصالح الإنسان نفسه لو أحسن الشكر والإنابة فتكون المكافئة والثواب اللتين يستحصلهما ما

---

(١) المفضل، التوحيد ص٢٤. ينظرالمجلسي، البحار ٧١/٣، المازندراني،شرح أصول الكافي ٤٦/١ ،ميرزا محمد تقي الأصفهاني، مكيال المكارم ٢٥٣/١.

يصغر أمامهما كل ابتلاء ، حتى أن الإمام عليه السلام يذكر أنهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا أن يردوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب.

والأمر ينطبق على من فقد الشعر من الرجل حتى وإن كبر ، إذ سأل المفضل الإمام عليه السلام(..يا مولاي فقد رأيت من يبقى حالته ولا ينبت الشعر في وجهه وإن بلغ الكبر ، فقال(ع): (ذلك بما قدمت أيديكم وإن الله ليس بظلام للعبيد)[1] ، فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه بكل شيء من هذه المآرب إلا الذي أنشأه خلقاً ، بعد إن لم يكن ، ثم توكل له بمصلحته بعد إن كان).[2]

والمسألة هنا وعظية أيضاً ويقصد بها إعطاء رسائل عدة للشخص نفسه وللآخرين في بناء شخصياتهم بشكل يتواءم مع عظمة الخالق ، وكيف أنه تعالى خلقه ولم يكن وهو قادراً على كل شيء وأعلم بالمصلحة.

ومما يرتبط بالمصداق أعلاه ويؤكد الجانب الديني الوعظي ما ذكره الإمام عليه السلام عن فلسفة تنظيف هذا الشعر وقصه والمراد من ذلك وقد بيّن عليه السلام ذلك حينما قال(..ثم إن هذه تعد مما يحمل الإنسان من مؤنة هذا البدن وتكاليفه لما له في ذلك من المصلحة ، فإن اهتمامه بتنظيف بدنه . وأخذ ما يعلوه من الشعر ،

---

(١) آل عمران/١٨٢.

(٢) المفضل، التوحيد ص١٤.ينظر المجلسي، البحار ٦٣/٣.

مما يكسر به شرته، ويكف عاديته ويشغله عن بعض ما يخرجه إليه الفراغ من الأشر والبطالة).[1]

والفلسفة الوعظية التي ذكرها الإمام عليه السلام هنا هي لكسر حالة الغرور والتكبر، وتعريف الإنسان بحاله ومقداره وصورته، وتمثيل هذا التنظيف المادي بتنظيف النفس من الذنوب المعنوية، والإيحاء إليه بالحاجة المستمرة لإعادة النظر في كل الأمور، وهو الأمر الذي ندركه أيضاً حينما نقرأ السبب الذي ذكره الإمام عليه السلام لإصابتنا بالأمراض والأذى إذ توضحت الفلسفة الوعظية لذلك حينما قال عليه السلام(..لو كان الإنسان لا يصيبه ألم ولا وجع، بما كان يرتدع عن الفواحش، ويتواضع لله، ويتعطف على الناس... أما ترى الإنسان إذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب إلى ربه في العافية، وبسط يده بالصدقة، ولو كان لا يألم من الضرب بما كان السلطان يعاقب الدعار ويذل العصاة المردة، وبما كان الصبيان يتعلمون العلوم والصناعات، وبما كان العبيد يذلون لأربابهم).[2]

وصورة الموعظة في هذا المقام واضحة جداً وهي تتناغم مع الصور السابقة إذ أنها مبنية على أساس ارتداع الناس بتلك الأمور وذلك الأذى عن الفواحش، في سبيل تواضعهم لربهم ومع الناس أيضاً،

---

(١) المفضل، التوحيد ص٣٤. ينظر المجلسي، البحار ٣٢٩/٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ٨٨/٣.

لأن مرحلة الألم هذه فيها توجه من العبد واستكانة ودعاء وطلب ، فهي لصالح العبد أولاً وأخيراً.

ثالثاً: الفلسفة الصحية

الفلسفة الصحية هي عبارة عن نتيجة لكل ما يذكر في مقام فلسفة الخلقة الإنسانية ، بيد أن ذلك لا يمنع من أن الإمام عليه السلام ذكر صوراً مباشرة بوصفها فلسفة وسبباً لبعض الجزئيات الخاصة بالتكوين والتركيب الإنساني ، ولعل من أوضحها ما ذكره عليه السلام عن بكاء الأطفال والفلسفة الصحية منه إذ قال عليه السلام (...اعرف يا مفضل ما للأطفال في البكاء من المنفعة . واعلم أن في أدمغة الأطفال رطوبة ، إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلة وعللاً عظيمة ، من ذهاب البصر وغيره ، والبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم ، أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك فهما دائبان ليسكتانه ويتوخيان في الأمور مرضاته لئلا يبكي ، وهما لا يعلمان أن البكاء أصلح له وأجمل عاقبة . فهكذا يجوز أن في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنه لا منفعة فيه ، من أجل أنهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه ، فإن كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون ، وكثيراً ما يقصر عنه على المخلوقين محيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته).[1]

---

(١) المفضل، التوحيد ص١٦- ١٧. ينظر المجلسي، البحار ٥٧/ ٣٨٠، =

لقد أصبح من البديهيات اليوم القول بفائدة البكاء بالنسبة للطفل وأثر ذلك في دماغه وصحته[1]، وهو الأمر الذي فصّل به الإمام عليه السلام إذ قام كلامه على ثلاثة أمور تخص الفلسفة الصحية وما يتعلق بمن أرادها ومن وضحها:

الأمر الأول: المعلومة الطبية الصحية بأن بكاء الطفل يساعد على تنظيف دماغ الطفل من مادة الولادة، والتي تسبب الشلل الدماغي وكما هو جلي في أيامنا هذه من أن الأطفال الذين لم يتمكنوا من البكاء في أثناء ولادتهم ولم تنزل هذه المادة قد أصيبوا بضمور الدماغ والشلل.[2]

الأمر الثاني: أن الاختصاص هو الأساس في جميع الأمور ومن هنا أراد الإمام عليه السلام أن يفحم ويرد على القائلين بالصدفة وإهمال الإله للأمور، وأنهم لا يعلمون المصلحة كما أن الآباء لا يعلمون بعض الأحيان المصلحة الصحية لأبنائهم، وأن الله تعالى محيط بمخلوقاته.

الأمر الثالث: أن الإمام عليه السلام أراد أن يوصل فكرة مهمة

=النمازي، مستدرك سفينة النجاة ٤٠٤/١، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ١٩٢/١.

(١) ينظر د. مفيد حنون، علم وظائف الأعضاء ٣٢٥ وما بعدها.

(٢) هناك الكثير من الحالات من مشاهداتنا العيانية قد تعرض فيها المواليد لهذا النوع من الضمور الدماغي إذ رافق ولادتهم عدم بكاء المولود ومن ثم أصيب بهذه الحالة المرضية.

عن أصحاب العلم الحقيقين الذين يجب أن يرجع إليهم الخلق وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين نعتهم الإمام الصادق عليه السلام بالعارفين.

وربما نجد أن الإمام عليه السلام قد ذكر لنا مصداقاً آخر نستطيع أن نضعه بشكل مكمل لموضوع بكاء الطفل ، إذ أن الفلسفة الصحية تدخل هنا وبصورة بارزة ، ونقصد ما ذكره الإمام عليه السلام عن المادة التي تسيل من فم الطفل حينما قال (.. فأما ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق ، ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة ، كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة ، فأخرجته إلى حد البله والجنون والتخليط إلى غير ذلك من الأمراض المتلفة كالفالج اللقوة وما أشبههما ، فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم ، لما لهم في ذلك من الصحة في كبرهم ، فتفضل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه ، ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك من التمادي في معصيته ، فسبحانه ما أجل نعمته وأسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه ، تعالى عما يقول المبطلون علواً كبيراً).[1]

وهنا نجد الآثار السابقة الإيجابية نفسها في حدوث بعض الأمور التي فيها الفلسفة الصحية ، فعملية التخلص من تلك السموم

---

(١) المفضل، التوحيد ص١٧. ينظر ألمجلسي، البحار ص٦٦، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ص١٦٢.

المسببة للفالج(الشلل) والجنون هي الفلسفة التي لم يدركها غير أئمة أهل البيت عليهم السلام لذا أصبحت تسيل من أفواه الأطفال للتخلص من الأمراض والسموم دون أن يعي الناس تلك الفائدة المرجوة.

رابعاً: الفلسفة الاجتماعية

وفي هذا النوع نجد الإمام عليه السلام قد ذكر بعض الجوانب التكوينية في خلقة الإنسان وبين سببها وهو سبب اجتماعي لا يتعلق بالجوانب الأخرى ، وفي بعض الأحيان يكون هذا السبب هو جزء من أسباب أخرى ذكرناها في حينها مثل مسألة ولادة المولود غير عاقل فعلاوة على الأسباب الدينية الفقهية والأسباب المعرفية والبايلوجية فإن الفلسفة الاجتماعية تدخل بقوة أيضاً في هذا المقام ، وهي لا تخلو من صفة دينية في بعض الأحيان لأنها تتعلق بالوالدين إذ قال الإمام عليه السلام بشأن ذلك(.. فإنه لو كان يولد تام العقل مستقلاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد ، وما قدر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة ، وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافأة بالبر ، والعطف عليهم ، عند حاجتهم إلى ذلك منهم ثم كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم ، لأن الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياطتهم).[1]

---

(١) المفضل، التوحيد ص١٥. وينظر المجلسي، البحار ٣/٦٤، الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية ٣/١٣٢.

وترتبط هذه الفلسفة الاجتماعية في عدم تعقل المولود بجانبين:

الجانب الأول: ما يخص الآباء وفيه عدة أمور:

١- ضياع المتعة والرغبة في تربية الأولاد لأنهم مستقلون بأنفسهم نتيجة تعقلهم.

٢-ضياع أجر تربية الأولاد من الآباء وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافأة بالبر، والعطف عليهم، عند حاجتهم إلى ذلك منهم.

الجانب الثاني: مايتعلق بالأولاد أنفسهم لأنهم سوف لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم، لكون الأولاد مستغنين عن تربية الآباء وحياطتهم.

المصداق الآخر هو مصداق معنوي يتعلق باختصاص الإنسان بالحياء دون بقية الحيوانات وكيف أصبح صمام أمان لحفظ المجتمع وأداء الأمور والواجبات، إذ قامت فلسفة وجود الحياء على عدة جوانب حددها الإمام الصادق عليه السلام بقوله للمفضل(..أنظر يا مفضل إلى ما خص به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق، الجليل قدره العظيم غناؤه، أعني: الحياء. فلولاه لم يقر ضيف ولم يوف بالعداة، ولم تقض الحوائج، ولم يتحر الجميل، ولم يتنكب القبيح في شيء من الأشياء، حتى أن كثيراً من الأمور المفترضة أيضاً إنما يفعل للحياء فإن من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم، ولم يؤد أمانة، ولم يعف عن

فاحشة.. أفلا ترى كيف وفي الإنسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام أمره).[1]

وتقوم الفلسفة الاجتماعية لخلق الحياء على جملة أمور لولاه لضاعت كما يقول الإمام عليه السلام:

١- لولا الحياء لم يقر الضيف ولا عرفت الضيافة.

٢- لولا الحياء لم يف الناس بمواعيدهم.

٣- لولا الحياء لما قضيت الحوائج من الآخرين.

٤- لولا الحياء لعمل بالتفضيل بين الناس الجميل والقبيح.

٥- لولا الحياء لترك حتى شرع الله تعالى في:

أ- طاعة الوالدين.

ب- صلة الرحم.

ت- أداء الأمانة.

ث- العفة.

---

(١) المفضل، التوحيد ص٣٩. وينظر ألمجلسي، البحار ٢٥٧/٥٨.

خامساً: الفلسفة الاقتصادية

ترتبط الفلسفة الاقتصادية بالأمور التي خلقها الله تعالى لإكمال طبيعة التكوين والتركيب لخلق الإنسان فهي أمور سخرت لخدمته مثل الماء والغذاء بشكلها المادي والعمل الاقتصادي بشكله المعنوي ، فقد بيّن الإمام عليه السلام كيف أن الماء والخبز هما رأس معاش الإنسان وحياته فقال عليه السلام للمفضل(.. واعلم يا مفضل أن رأس معاش الإنسان وحياته: الخبز والماء... فانظر كيف دبر الأمر فيهما ، فإن حاجة الإنسان إلى الماء أشد من حاجته إلى الخبز ، وذلك أن صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش ، والذي يحتاج من الماء أكثر مما يحتاج إليه من الخبز ، لأنه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه فجعل الماء مبذولاً لا يشترى لتسقط عن الإنسان المؤنة في طلبه وتكلفه ، وجعل الخبز متعذراً لا ينال إلا بالحيلة والحركة ، ليكون للإنسان في ذلك شغل يكفه عما يخرجه إليه الفراغ من الأشر والعبث... ألا ترى أن الصبي يدفع إلى المؤدب ، وهو طفل لم تكمل ذاته للتعليم ، كل ذلك ليشتغل عن اللعب والعبث اللذين ربما جنيا عليه وعلى أهله المكروه العظيم. وهكذا الإنسان لو خلا من الشغل ، لخرج من الأشر والعبث والبطر ، إلى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه. واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة ورفاهية العيش والترفه والكفاية ، وما يخرجه ذلك إليه).[1]

---

(١) المفضل، التوحيد ص٤٥- ٤٦. وينظر المجلسي، البحار٣/٨٧.

وقد قسم الإمام عليه السلام تلك الفلسفة الاقتصادية بمعطياتها إلى ثلاثة محاور هي:

المحور الأول: وهو محور تفضيل الماء وزيادته وبذله وهو يقوم على جملة أمور:

١- إن صبر الإنسان على الجوع أكثر من صبره على العطش.

٢- إن الإنسان يحتاج إلى الماء أكثر من الخبز لأنه يستعمله للشرب والوضوء والغسل الشرعي وغسل الثياب وشرب الحيوان وسقي الزرع.

٣-نتيجة لهذه الحاجة جعل الماء مبذولاً بشكل مجاني ليسقط ثقل طلبه.

المحور الثاني: محور الخبز وقد جعله الله تعالى لا يستحصل إلا بجهد لكي يعمل الإنسان ويطلب رزقه فيبتعد عن الفراغ والعبث.

المحور الثالث: وهو محور العمل الذي يترك الإنسان به البطر ، ويتخلص من رفاهية العيش والترف والكفاية والبطالة وأثارها فيه وفي مجتمعه.

وقد شخص الإمام عليه السلام جميع الأمور السابقة بكلامه الذي بيّن به الهدف الأساس من كل ذلك الطرح وهو هدف ديني فلسفي ولا نقصد بالفلسفي هنا العلية فقط وإنما الصورة الإثباتية العقائدية والبرهان الفلسفي على أن كل ما ذكر هو من صانع قدير وحكيم ، لذا فقد جمع الإمام عليه السلام تلك الاستدلالات على

خلق الإنسان في كلامه المفحم لناكري وجود الله تعالى إذ يقول عليه السلام عن الإنسان(ذكر وأنثى) وتناسله وآلات العمل وحاجته وحيلته وإلزامه بالحجة(..من جعل الإنسان ذكر أو أنثى إلا من خلقه متناسلاً؟ ومن خلقه متناسلاً إلا من خلقه مؤملاً؟ ومن أعطاه آلات العمل إلا خلقه عاملاً؟ ومن خلقه عاملاً إلا من جعله محتاجاً؟ ومن جعله محتاجاً من ضربه بالحاجة؟ ومن ضربه بالحاجة إلا من توكل بتقويمه؟ ومن خصه بالفهم إلا من أوجب الجزاء؟ ومن وهب الحيلة إلا من ملكه الحول ومن ملكه الحول إلا من ألزمه الحجة؟ ومن يكفيه ما لا تبلغه حيلته إلا من يبلغ مدى شكره. فكر وتدبر ما وصفته. هل تجد الإهمال يأتي مثل هذا النظام والترتيب تبارك الله تعالى عما يصفون).[1]

سادساً: الفلسفة البايلوجية

أ- فلسفة الإنشاء في الرحم

لقد تطرق الإمام الصادق عليه السلام إلى الأساسيات العلمية لمراحل خلق الإنسان بتفاصيلها الدقيقة وصولاً إلى الفلسفة العلمية في طبيعة تلك المراحل ، إذ غطى الإمام عليه السلام المسألة ابتداءً من خلق الجنين في الرحم ، وذلك حينما قال(.. فأول ذلك ما يدبر به الجنين في الرحم ، وهو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة

---

(١) المفضل، التوحيد ص٢٩- ٣٠. وينظر المجلسي، البحار ٧٤/٣.

البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ، ولا دفع أذى. ولا استجلاب منفعة ، ولا دفع مضرة ، فإنه يجري من دم الحيض ما يغذوه ، الماء والنبات ، فلا يزال ذلك غذاؤه).[1] وهذه الحقائق العلمية لها ما يسندها في العلم الحديث ، إذ أصبح هذا المنطق العلمي من الأمور التي ظهرت بعد التطور التكنولوجي والمختبري[2] ، فلم يكن القول بأن دم الحيض هو مصدر غذاء الجنين مستساغاً أو مقبولاً آنذاك ، بل وحتى في أيامنا هذه لغير المتخصصين.

وليس ذلك فحسب بل نجد أن الإمام عليه السلام فرق بين الفلسفة العلمية والوصف العام المجمل الذي فصله وجزأه فيما بعد ، وهذا الوصف العام الذي أردنا منه إكمال الصورة كمقدمة للفلسفة العلمية هو قوله عليه السلام(...أول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد ، ويدبره حتى يخرج سويا مستوفياً جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل ، إلى ما في تركيب أعضائه من العظام ، واللحم ، والشحم ، والعصب ، والمخ ، والعروق والغضاريف. فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمو بجميع أعضائه ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ولا تنقص إلى أن يبلغ أشده ، إن مد في عمره أو يستوفي

(١) المفضل، التوحيد ص ١٢ . وينظر ألمجلسي، البحار ٦٢/٣، الحويزي، تفسير نور الثقلين ٤٧٧/٤ ، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٣٧٨/١.

(٢) ينظر د. مفيد حنون، علم وظائف الأعضاء ص٢٢٠- ٢٢٥.

مدته قبل ذلك ، هل هذا إلا من لطيف التدبير والحكمة).[1]

وبذلك فقد حدد الإمام عليه السلام مكونات أعضاء الجسم وتركيبها والإبداع والتدبير في الخلقه وهذا الجزء ضروري جداً لاستيعاب الأفكار التي طرحها الإمام عليه السلام عن فلسفة ذلك التركيب والتكوين والإبداع في التدبير وأسبابها وعللها.

ومن هنا فقد حرص الإمام عليه السلام على بيان الكيفية والدافع والفلسفة التي تتعلق بمراحل نمو الجنين حتى ولادته ، إذ تعلقت تلك الفلسفة بوصول نمو الطفل إلى مرحلة الولادة نتيجة أسباب أوضحها الإمام عليه السلام بقوله(..حتى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوى أديمه مباشرة الهواء ، وبصره على ملاقاة الضياء ، هاج الطلق بأمه فأزعجه أشد إزعاج وأعنفه حتى يولد)[2]. وهنا يشير الإمام عليه السلام إلى جملة حقائق علمية مسببة للطلق والولادة تتلخص بما يأتي:

١- اكتمال خلق الجنين بمروره بمراحل التكوين كافة.

---

(١) المفضل، التوحيد ص٢١ . وينظر المجلسي، البحار ٦٨/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٢٧٧/١، د.مفيد حنون، علم وظائف الأعضاء ص٢٢٠- ٢٢٥.

(٢) المفضل، التوحيد ص ١٣. وينظر الفيض الكاشاني، التفسير الصافي ٤٧٧/١ ،المجلسي، البحار ٦٢/٣،الحويزي، تفسير نور الثقلين ٤٧٧/٤، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٢٧٨/١.

٢-وصول بدن الجنين إلى مرحلة القوة التي يتمكن بها جلده من تحمل الهواء.

٣-وصول بصر الجنين إلى مرحلة القوة التي يتمكن بها من مواجهة الضوء بعد ظلمة الرحم.

٤- إن الطلق الذي هو أثر من آثار اكتمال النمو هو مسبب للولادة إذ أصبح نتيجة وسبباً في الوقت نفسه فكان يمثل جزء من فلسفة الولادة.

ب- فلسفة تغذية الطفل

النوع الأخر من الفلسفة ما يتعلق بمراحل تغذية الطفل بعد الولادة والعوامل والأسباب التي أدت إلى ظهور المرحلية في ذلك ، إذ ذكر الإمام عليه السلام فلسفة اقتصار نوع التغذية على لبن الأم في بداية عمر الطفل ومن ثم تطور الغذاء فيما بعد ، وهذا ما نلمسه في إشاراته عليه السلام حينما قال (..فإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمه إلى ثديها وانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء وهو أشد موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه ، فحين يولد قد تلمظ وحرك شفتيه طلباً للرضاع ، فهو يجد ثدي أمه كالأداتين المعلقتين لحاجته فلا يزال يتغذى باللبن ، ما دام رطب البدن رقيق الأمعاء لين الأعضاء ، حتى إذا يحرك ، واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتد ويقوى بدنه ، طلعت

له الطواحن من الأسنان والأضراس ليمضغ بها الطعام ، فيلين عليه. ويسهل له إساغته).[1]

وهنا يربط الإمام عليه السلام في هذه الفلسفة بين نوع الغذاء وتركيب المولود إذ أن رطب البدن ورقة الأمعاء ولين الأعضاء هي وراء فلسفة اتخاذ اللبن غذاءً في المرحلة الأولى فيما كانت فلسفة تغير الغذاء إلى النوع الصلب في المرحلة اللاحقة تقوم على أساس ما يأتي:

١- الحركة ونقصد تمكن الطفل من الاعتماد نسبياً على أعضائه.

٢- الحاجة إلى اشتداد البدن وقوته والانتقال من الصورة الضعيفة إلى صورة أقوى بفعل الأثر الزمني.

٣- ظهور العوامل المساعدة على التغيير نتيجة النمو مثل ظهور الأسنان المساعدة على المضغ كالطواحن والأضراس.

ج- فلسفة المرحلية البناءة في النمو

ويجمع الإمام عليه السلام هذه المرحلية في نشوء الجنين ونموه وولادته وتغذيته ببيان الفلسفة الإجمالية التي أراد منها عليه السلام بيان قدرة الله سبحانه وتعالى وبيان الغاية من وراء ذلك التكوين

---

(١) المفضل، التوحيد ص١٣. وينظر المجلسي، البحار ٦٢/٣، المازندراني، شرح أصول الكافي ١٠٢/١، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٣٧٨/١.

على شكل أسئلة يطرحها عليه السلام ويجيب عليها في الوقت نفسه ، حينما يخاطب تلميذه المفضل إذ قال له(أفرأيت لو لم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم(يقصد الجنين) ، ألم يكن سيذوي ويجف كما يجف النبات إذا فقد الماء ، ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم كالمؤود في الأرض؟ ولو لم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً أو يغتذي بغذاء لا يلائمه ، ولا يصلح عليه بدنه ، ولو لم تطلع له الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وإساغته . أو يقيمه على الرضاع فلا يشتد بدنه ولا يصلح لعمل؟ثم كان يشغل أمه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد).[1]

إن هذا الطرح من الإمام عليه السلام إنما هو في الحقيقة دراسة وإبراز للفلسفة والسبب عن طريق إظهار الآثار المستقبلية السلبية في حالة اختلاف تلك المرحلة في النمو عن التدبير المحدد لها من الله تعالى ، ولعلنا نستطيع أن ندرك مدى الأضرار التي تنتهي بموت الإنسان إذا ما أجملنا السلبيات التي حددها الإمام الصادق عليه السلام بما يأتي:

١- جفاف الجنين وموته في الرحم في حال عدم جريان دم المرأة إليه.

---

(١) المفضل، التوحيد ص ١٤. وينظر ألمجلسي، البحار ٦٣/٣ ،الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية ١٤٢/٣.

٢-بقاء الجنين في الرحم وكأنه مدفناً له ، في حال عدم إزعاجه بالمخاض.

٣-موت المولود جوعاً أو من عدم ملائمة الغذاء في حال انعدام لبن الأم أو عدم موافقته في الولادة.

٤-عدم اشتداد بدن الطفل وعدم نموه في حال عدم نمو اضراسه وموافقتها مع الغذاء الجديد ومن ثم البقاء على لبن الأم.

د- فلسفة الهيئة والصورة

لم يقتصر الإمام عليه السلام في بيان الفلسفة السببية ذات الأبعاد البايلوجية على مرحلتي إنشاء الجنين ونموه فحسب ، وإنما تعدى ذلك إلى فلسفة الهيئة والصورة والشكل ، إذ بيّن الإمام عليه السلام كيف أصبح الرجل بهذا الشكل وكيف أصبحت المرأة على تلك الصورة ، وقد توضح ذلك حينما أشار الإمام عليه السلام إلى مرحلة البلوغ إذ قال(..فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه ، فكان ذلك علامة الذكر ، وعز الرجل الذي يخرج به من جدة الصبا وشبه النساء. وإن كانت أنثى يبقى وجهها نقياً من الشعر ، لتبقى لها البهجة ، والنضارة التي تحرك الرجل لما فيه دوام النسل وبقاؤه).[1]

---

(١) المفضل، التوحيد ص١٣. وينظر ألمجلسي، البحار ٦٢/٣، المازندراني، شرح أصول الكافي ١٠٢/١، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٢٧٨/١.

وهنا نرى بأن الإمام عليه السلام قد ميز في صورة الرجل والمرأة ولعل ذلك التمييز قائم على طلوع الشعر من عدمه فالرجل يتميز بوجوده ، والمرأة تتميز أيضاً ، ولكن بانعدامه ، وهذا التميز هو الفلسفة المقصودة التي تقوم في فكر الإمام الصادق عليه السلام وفق ما يأتي:

١- يقوم التميز في وجود الشعر على وجه الرجل بأنه يمثل:

أ- علامة الذكورة.

ب- عزة الرجل.

ت- تمييز الرجل عن المرأة والانتقال من مرحلة الصبا وما يترتب عليها.

٢- يقوم التميز في انعدام الشعر في وجه المرأة على ما يأتي:

أ- نقاوة الوجه والطلعة.

ب- وجود ما يحرك الرجل من جمال المرأة ونضارتها في سبيل الحفاظ على النسل.

ويبين الإمام عليه السلام ويترجم للآثار الناجمة عن انعدام هذا التدبير بما يمثل فلسفته أساساً لأن تلك الآثار السلبية هي في الحقيقة علة وسبب لذلك التدبير لذا يقول عليه السلام(..ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته ألم يكن سيبقى هيئة الصبيان والنساء ، فلا ترى له جلالة ولا وقاراً؟)[1] وهي أمور معنوية إلا أنها شديدة التأثير في

---

(١) المفضل، التوحيد ص١٣. وينظر المجلسي، البحار٣/٦٣، الريشهري، موسوعة الاحاديث الطبية١/٣٧٩.

المستويات كافة ولا سيما المستوى الاجتماعي الذي يأخذ مأخذه من الرجل ، ويلقي بضلاله على المجتمع بشكل عام وهذا ما يفسر إشارة الإمام عليه السلام إلى لفظتي الجلالة والوقار ، لأن ما يعاكس ذلك يمثل صورة الصبي غير البالغ والمرأة الضعيفة ، وهو الأمر الذي يريد الرجل الابتعاد عنه لا سيما وأنه رب الأسرة وواجهة المجتمع وقوة الدين ومن فرض عليه الجهاد.

ولعل من أهم الأمور التي ذكر الإمام الصادق عليه السلام فلسفة تركيبها فيما يخص الهيئة ، والصورة بالنسبة للإنسان هي مسألة اختصاصه بانتصاب الجسم والجلوس دون البهائم وهي فلسفة تمييزية ذات علة بايلوجية تتطلبها طبيعة الحياة ، إذ أوضح الإمام عليه السلام ذلك بقوله(... فإنه خلق ينتصب قائماً ، ويستوي جالساً ، ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه ، ويمكنه العلاج والعمل بهما فلو كان مكبوباً على وجهه كذوات الأربع ، لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال).[1]

إن كلام الإمام عليه السلام شديد الوضوح والدلالة على قدرة الله تعالى وتدبيره في مخلوقاته وعلى تشريف الإنسان وعلى علم الإمام الصادق عليه السلام ببيان الفلسفة ذات الأبعاد البايلوجية لانتصاب الجسم والتي تقوم على ما يأتي:

---

(١) المفضل، التوحيد ص ٢١. وينظر المجلسي، البحار ٦٨/٣، الريشهري، موسوعة الاحاديث الطبية ٢٣٠/١.

١- إن التعامل مع المحيط يقتضي تلك الاستقامة والانتصاب ليستطيع الإنسان السيطرة بيديه وجوارحه لتناول الأشياء.

٢- إن طبيعة الوضعية الحيوانية تقتضي عدم الإنتاج والاتكال ، ومن ثم فانتصاب الجسم هو الفارق بين الإنتاج والاتكال وهو من وظيفة الإنسان أي الفارق بين الإنسان والحيوان.

ويمكن أن نجد الأثر نفسه في تعاملنا مع شكل البطن والفلسفة التي ذكرها الإمام عليه السلام لذلك ، إذ أنه أخذ وأعاب على بعض جهلة المتكلمين في هذا الشكل إذ قال عليه السلام(.. ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفة المتفلسفين بقلة التمييز وقصور العلم: لو كان بطن الإنسان كهيئة القباء يفتحه الطبيب إذا شاء فيعاين ما فيه ، ويدخل يده فيعالج ما أراد علاجه ألم يكن أصلح من أن يكون مصمتاً محجوباً عن البصر واليد ، لا يعرف ما فيه إلا بدلالات غامضة ، كمطل النظر إلى البول ، وجس العرق ، وما أشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة ، حتى ربما كان ذلك سبباً للموت ، فلو علم هؤلاء الجهلة أن هذا لو هكذا ، كان أول ما فيه إن كان يسقط عن الإنسان الوجل من الأمراض والموت وكان يستشعر البقاء ويغتر بالسلامة فيخرجه ذلك إلى العتو والأشر. ثم كانت الرطوبات في البطن تترشح وتتحلب فيفسد على الإنسان مقعده ومرقده وثياب بدلته وزينته ، بل كان يفسد عيشه ، ثم إن المعدة والكبد والفؤاد إنما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزية التي جعلها

الله محتبسة في الجوف ، فلو كان في البطن فرج ينفتح حتى يصل البصر إلى رؤيته ، واليد إلى علاجه ، لوصل برد الهواء إلى الجوف ، فمازج الحرارة الغريزية ، وبطل عمل الأحشاء ، فكان في ذلك هلاك الإنسان ، أفلا ترى أن كل ما تذهب إليه الأوهام - سوى ما جاءت به الخلقة - خطأ وخطل).[1]

إن في هذا النص الكثير من صور الفلسفة العلمية التي تحمل أبعاداً جمالية وقائية لحماية جسم الإنسان إذ أن الإمام عليه السلام كان في موضع الرد على الجهلة المعترضين على خلق الله تعالى واقتراحهم كيفية معينة لشكل البطن يفتح معها بسهولة ، وهو الأمر الذي بيّن عليه السلام خطأه معتمداً على فلسفة خلقه بهذا الشكل وهي تقوم على مرتكزات عدة:

أولاً : المرتكز العلمي :

ويقوم على ما يأتي:

١- إن وجود فجوه أو فتحه في البطن يؤدي إلى تسرب المواد منه ، فيعيش الإنسان حالة من الإزعاج وعدم الراحة ، مما يفسد مقعده وملبسه وحياته عامة.

٢- إن دخول الهواء من المحيط الخارجي لجوف الإنسان يؤدي إلى إفساد عمل الأحشاء بسبب تأثيراته.

---

(١) المفضل، التوحيد ص٣٤- ٣٥. وينظر المجلسي، البحار ٧٨/٣.

ثانياً: المرتكز الديني:

ويقوم على أن الإنسان لو علم أمراضه كان لا يخاف ويخشى من المرض فيطغى لعدم خوفه من الموت.

٥- فلسفة الصيانة والحفظ لأعضاء الجسم وتكويناته

من الأمور المهمة التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام بوصفها فلسفة سببية ذات أبعاد بايلوجية ما يخص صيانة أعضاء الإنسان وتركيباته ، وهي أمور ذكرها الإمام عليه السلام في أكثر من مورد ويمكن إجمال هذه الموارد بما يأتي:

أولاً: حواس الإنسان ، إذ ذكر الإمام عليه السلام أن مواقعها في جزء من تركيب الإنسان جاء لحفظها وسلامتها ، إذ قال عليه السلام للمفضل(.. إنظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس التي خص بها الإنسان في خلقه ، وشرف بها على غيره . كيف جعلت العينان في الرأس ، كالمصابيح فوق المنارة؟ ليتمكن من مطالعة الأشياء ، ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهن ، كاليدين والرجلين ، فتعترضها الآفات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة ، ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها ، ولا في الأعضاء التي وسط البدن ، كالبطن ، والظهر ، فيعسر تقلبها ، وإطلاعها نحو الأشياء).[1] وقوله عليه السلام أيضاً(..فلما لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء

---

(١) المفضل، التوحيد ص٢١. وينظر المجلسي، البحار ٣/٦٩، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ١/١٧٤.

موضع ، كان الرأس أسنا المواضع للحواس ، وهو بمنزلة الصومعة لها).[1]

وعلاوة على ما في هذا الكلام من بيان للفلسفة البايلوجية في عمل الأعضاء والحواس إلا أن هناك صوراً أخرى عن الفلسفة ذات الأبعاد الخاصة بالصيانة والحفاظ على التركيبات إذ بيّن الإمام عليه السلام فلسفة موقع بعض حواس الإنسان في الرأس دون غيره وأسباب ذلك لصيانتها وحدد عليه السلام هذه الأسباب بما يأتي:

١- إن وضع هذه الحواس في الأعضاء التي في الأسفل يعرضها للآفات ، ويصيبها عند العمل والحركة ، ومن ثم يؤثر في عملها أو يعدمه.

٢- عند وضع هذه الحواس في الأعضاء وسط البدن كالبطن والظهر ، فإن ذلك يؤدي إلى تأثرها وعدم قيامها بعملها على أتم وجه.

٣- إن الرأس وفق هذه المعطيات يعد موضع حماية وصيانة للحواس من جميع المؤثرات الخارجية فضلاً عن الأمر الأساس ، وهو أداء وظيفتها بالشكل الصحيح بسبب الموقع المتميز فوق الجسم.

---

(١) المفضل، التوحيد ص٢٢. وينظر المجلسي، البحار ٦٩/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ١٧٤/١.

ثانياً: صيانة تركيب الدماغ

والأمر ينطبق وبصورة أوضح على صيانة الدماغ وهو ما يمثل فلسفة تركيبه بهذا الشكل إذ ذكر الإمام عليه السلام (.. ولو رأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيته قد لف بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض، وتمسكه فلا يضطرب . ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة، كيما تقيه هد الصدمة، والصكة التي ربما وقعت في الرأس ثم قد جللت الجمجمة بالشعر، حتى صارت بمنزلة الفرو للرأس يستره من شدة الحر والبرد، فمن حصن الدماغ هذا التحصين، إلا الذي خلقه وجعله ينبوع الحس، والمستحق للحيطة والصيانة، بعلو منزلته من البدن وارتفاع درجته، وخطير مرتبته).[1]

وما نفهمه من كل ذلك أن فلسفة هذا التركيب هي لصيانته، وبحسب أجزائه وكما يأتي:

١- أن ما يحيط بالدماغ من حماية قوية لصيانته من الأعراض والحفاظ عليه من التحرك والاضطراب.

٢- وجود الجمجمة بوصفها خطاً قوياً للدفاع الأول من الصدمات والضربات التي قد تقع على الرأس.

٣-وجود الشعر لحماية الرأس من الحر والبرد .

---

(١) المفضل، التوحيد ص٢٧. وينظر المجلسي، البحار ٧٣/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ١٥٢/١.

ثالثاً: صيانة القلب

وقد قرّب الإمام عليه السلام الصورة حينما تكلم بشكل واضح وصريح على فلسفة حماية القلب بذلك التركيب الذي أنشأ حوله والذي أسماه الإمام عليه السلام(المدرعة) حينما يقول(..من غيب الفؤاد جوف الصدر ، وكساه المدرعة التي غشاؤه ، وحصنه بالجوانح وعليها من اللحم والعصب ، لئلا يصل إليه ما ينكأه).[1]

وهنا رسم الإمام عليه السلام محددات الصيانة التي هي وظيفة الأعضاء المحيطة بالقلب بعدة صور:

الصورة الأولى: الصورة الإجمالية بوجود القلب في جوف الصدر لحمايته.[2]

الصورة الثانية: صورة الغشاء والغطاء اللذين يحيطان بالقلب.[3]

الصورة الثالثة: صورة ما يحيط ويتصل بالقلب من الأعصاب وما شابه بما يمثل حماية ووقاية له.[4]

---

(١) المفضل، التوحيد ص٢٧- ٢٨. وينظر المجلسي، البحار ٣/٧٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ١/١٥٢.

(٢) ينظر Gugtom.phgsiology-heart-p 211

(٣) ينظر د.مفيد حنون، علم وظائف الأعضاء ص٨٣، د.محمد عبد الهادي غالي، التشريح المقارن للحبليات ص١٩٧.
robert Anatomy head and neck .p100

(٤) ينظر د.مفيد حنون، علم وظائف الأعضاء ص٨٣، د.محمد عبد الهادي غالي، التشريح المقارن للحبليات ص١٩٧.
robert Anatomy head and neck .p100

رابعاً: صيانة العين

ولا تخرج مسألة صيانة العين عن المقصد الذي ذكرناه في هذه الفلسفة ، إذ أشار الإمام عليه السلام إلى سبب ذلك التركيب وكيف أن التكوين المحيط بالعين وموقع العين وصورته قائم أساساً على فلسفة بايلوجية ذات أبعاد تتعلق بالحفاظ على هذا العضو المهم ، ومن هنا فإن الإمام عليه السلام يقول(..تأمل يا مفضل: الجفن على العين كيف جعل كالغشاء والأشفار كالأشراح وأوجلها في هذا الغار ، وأظلها بالحجاب ، وما عليه من الشعر).[1] ونجد أن مصطلح الغار للدلالة على الحماية والحفظ فضلاً عن الأجزاء الأخرى التي وضعت للغرض نفسه.

خامساً: صيانة أعضاء الإنسان وتكويناته الجزئية الأخرى

هناك الكثير من التكوينات التي ذكرها الإمام عليه السلام بشكل إجمالي فيما يتعلق بفلسفة الحماية والصيانة إذ شملت هذه التكوينات ما يأتي:

١- المخ

٢- الدم

٣- الأظفار

---

(١) المفضل التوحيد ص٢٧. ينظر المجلسي، البحار ٧٣/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ١٧٥/١.

٤- الإذن

٥- لحم الآليتين

٦- الفخذان

وقد طرح الإمام عليه السلام هذه الأمور مخاطباً المفضل(.. فكر يا مفضل لم صار المخ الرقيق محصناً في أنابيب العظام؟ وهل ذلك إلا ليحفظه ويصونه؟. لم صار الدم السائل محصوراً في العروق بمنزلة الماء في الظروف إلا لتضبطه فلا يفيض؟).[1] وأيضاً(..لما صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلا وقاية لها ومعونة على العمل؟ لم صار داخل الإذن ملتويا كهيأة اللولب إلا ليطرد فيه الصوت ، حتى ينتهي إلى السمع ، وليكسر حمة الريح ، ينكأ في السمع؟ لم حمل الإنسان على فخذيه وآليتيه اللحم ، إلا ليقيه من الأرض ، فلا يتألم من الجلوس عليها ، كما يألم من نحل جسمه وقل لحمه ، إذا لم يكن بينه وبين الأرض حائل يقيه صلابتها).[2] ومن هذا الكلام أمكن بيان التكوين وفلسفته حسب نظر الإمام عليه السلام وكما يأتي:

---

(١) المفضل، التوحيد ص٢٨. ينظر ألمجلسي، البحار ٧٤/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ١٥٢/١.

٢ المفضل، التوحيد ص٢٩. ينظر ألمجلسي، البحار ٧٤/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٢٣٠/١.

التكوين	فلسفته
وجود المخ في أنابيب العظام	لتحفظه وتصونه
انحصار الدم السائل بالعروق	لتضبطه حتى لا يفيض
وجود الأظفار على أطراف الأصابع	وقاية للأظافر ولتعينها على العمل
التواء داخل الإذن كهيئة اللولب	١- حتى يطرد فيه الصوت لينتهي إلى السمع ٢- ليكسر قوة الريح لتتلاءم مع السمع
حمل الإنسان اللحم على فخذيه واليتيه	ليقيه من الأرض، فلا يتألم من الجلوس عليها، كما يألم من نحل جسمه وقل لحمه، إذا لم يكن بينه وبين الأرض حائل يقيه صلابتها

والملاحظ أن هذا النوع من الفلسفة يخص الحماية والصيانة في الجملة والتفصيل كما ظهر في التقسيم الجدول أعلاه.

و- أعضاء البدن وتكويناتها وفلسفتها

أ- الوصف الإجمالي لفلسفة عمل الأعضاء والتكوينات

لقد وصف الإمام عليه السلام أعضاء البدن وفلسفة كل منها وفق إطار إجمالي وجزئي في الوقت نفسه ، مبيناً الغاية في ذلك التكوين والتركيب الخلقي إذ قال الإمام عليه السلام مخاطباً المفضل(..فكر يا مفضل في أعضاء البدن أجمع ، وتدبير كل منها للأرب فاليدان للعلاج ، والرجلان للسعي ، والعينان للاهتداء ، والفم للاغتذاء والمعدة للهضم ، والكبد للتخليص ، والمنافذ لتنفيذ الفضول ، والأوعية لحملها ، والفرج لإقامة النسل ، وكذلك جميع

الأعضاء ، إذا ما تأملتها وأعملت فكرك فيها ونظرك ، وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب وحكمة).[1]

وعلى الرغم من ذلك الإجمال في هذه الفلسفة إلا أن الطروحات العلمية فيها هي الحاكمة إذ نجد أن الإمام عليه السلام بين الوظائف البايلوجية للأعضاء وبما يتلاءم مع العلم الحديث[2] وهي كفلسفة سببية.

ب- الفلسفة التفصيلية لأعضاء البدن وعملها

أولاً : عمل الحلق والمريء :

إذ ذكر الإمام عليه السلام الفلسفة الخاصة به بقوله عليه السلام (..من جعل في الحلق منفذين أحدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتصل بالرئة ، والآخر منفذاً للغذاء ، وهو المري المتصل بالمعدة الموصل الغذاء إليها ، وجعل على الحلقوم طبقاً يمنع الطعام أن يصل إلى الرئة فيقتل..).[3] أي أن الفصل بين المنفذين هو أساساً لحماية الإنسان من انقطاع الهواء وهو أمر مثبت علمياً أيضاً[4].

---

(١) المفضل، التوحيد ص١٨. ينظر ألمجلسي، البحار ٦٧/٣، المازندراني، شرح اصول الكافي ١٠٣/١ ، الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية ١٣٠/٢.

(٢) ينظر د.مفيد حنون، علم وظائف الأعضاء، جميع صفحاته.

(٣) المفضل، التوحيد ص٢٨. ينظر ألمجلسي، البحار ٧٣/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٢٠٢/١.

(٤) ينظر د.مفيد حنون، أساسيات علم وظائف الأعضاء ص١٤٥ ، لجنة، علم الحيوان العام ص٣٦٠ ، =

ثانياً: آلية عمل الرئة:

وقد بين الإمام عليه السلام فلسفة عمل الرئة المستمر لتنظيم الهواء وعدم إتلاف الحرارة للجسم إذ قال عليه السلام(..من جعل الرئة مروحة الفؤاد لا تفتر ولا تختل لكيلا تتحير الحرارة في الفؤاد، فتؤدي إلى التلف؟).[1]

ثالثاً: عمل منافذ البول والغائط: بين الإمام عليه السلام فلسفة الكيفية التي يضبط فيها البول والغائط لحماية الإنسان، إذ قال عليه السلام(..من جعل لمنافذ البول والغائط أشراجاً تضبطهما، لئلا يجريا جرياناً دائماً، فيفسد على الإنسان عيشه).[2] أي ذلك التدبير الذي أصبحت المنافذ بموجبه منضبطة لئلا تؤثر في الإنسان فتفسد حياته بجريانهما الدائم.

رابعاً: تركيب المعدة وتركيب الكبد:

لقد أشار الإمام عليه السلام إلى طبيعة تكوين المعدة والكبد وفلسفة هذا التكوين وتأثيراته في الإنسان إذ قال عليه السلام(من جعل المعدة عصبانية شديدة وقدرها لهضم الطعام الغليظ؟ ومن جعل الكبد

= Robert ‹Anatomy thorax Trachea .p121

(١) المفضل، التوحيد ص٢٨. ينظر المجلسي، البحار ٧٣/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٢٠٢/١.

(٢) المفضل، التوحيد ص٢٨. ينظر المجلسي، البحار ٧٣/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٢٧٣/١.

رقيقة ناعمة لقبول الصفو اللطيف من الغذاء ، ولتهضم وتعمل ما هو ألطف من عمل المعدة.).[1] ففلسفة تركيب المعدة من المادة العصبانية القوية الشديدة لأن عملها هو هضم أغلظ الطعام ، أما الكبد فتأتي رقته من كونه يستقبل الرقيق البسيط اللطيف من المادة.

خامساً: فرج الرجل والحكمة فيه:

بين الإمام عليه السلام الفلسفة التكاملية في صورة فرج الرجل وشكله وتناغمه مع الصورة العلمية والشرعية التي يتحقق بها دوام النسل إذ أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك بالقول(..لو كان فرج الرجل مسترخياً ، كيف يصل إلى قعر الرحم ، حتى يفرغ النطفة فيه؟ ولو منعضاً أبداً كيف كان الرجل يتقلب في الفراش ، أو يمشي بين الناس وشيء شاخص أمامه ، ثم يكون في ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة في كل وقت من الرجال والنساء جميعاً ، فقدر الله جل اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت ، ولا يكون على الرجال مؤنة ، بل جعل فيه قوة الانتصاب وقت الحاجة إلى ذلك ، لما قدر أن يكون فيه من دوام النسل وبقائه).[2]

وهناك أكثر من أثر لأنواع الفلسفة الواردة في هذا الإطار والتي

---

(١) المفضل، التوحيد ص٢٨- ٢٩. ينظر المجلسي، البحار ٧٣/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٢٤٥/١.

(٢) المفضل، التوحيد ص٣١. ينظر المجلسي، البحار ٧٥/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٣٣٧/١.

تتعلق بطبيعة ما ذكره الإمام عليه السلام عن عدم بقاء طبيعة فرج الرجل وعمله على شكل واحد ، وإنما في أوقات خاصة لإدامة النسل لأن ذلك يرتبط بضوابط علمية تقوم على ضرورة أن تصل النطفة إلى قعر الرحم وهذا لا يتم بالاسترخاء ، وعدم الاسترخاء لا يعني دوام بقاء فرج الرجل في هذه الحالة الخاصة وإنما يستدعي أن يرجع إلى حال الاسترخاء مرة أخرى لأن بقاءه فيه جملة محاذير مثلت الفلسفة التي ذكرها الإمام عليه السلام وهي:

المحاذير الصحية: صعوبة التحرك والتقلب في الفراش في أثناء النوم.

المحاذير الاجتماعية: قبح منظر الرجل وهو يمشي أمام الناس وشيئاً شاخصاً أمامه.

المحاذير الشرعية: أن ذلك سيسبب تحريك الشهوة من الرجال والنساء في كل الأوقات.

وفي ضوء كل ذلك كان التدبير الإلهي الذي عالج كل هذه الأمور بأن جعله لا يبدو للبصر ، بل جعل فيه قوة الانتصاب عند الحاجة لإدامة النسل.

وهنا وحتى تكتمل الصورة فقد جزّء الإمام عليه السلام هذه الفلسفة ليطرح بشكل خاص فلسفة تكوين الأعضاء التناسلية وتركيبها للإنسان مبيناً تدبير الله تعالى ، وفي الوقت نفسه فإنه بيان للفلسفة السببية في صورة التركيب إذ قال الإمام عليه السلام (..فجعل للذكر آلة ناشرة تمتد حتى تصل النطفة إلى الرحم ، إذا

كان محتاجاً إلى أن يقذف ماءه في غيره ، وخلق للأنثى وعاء قعراً ليشتمل على الماءين جميعاً . ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم ، أليس ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عما يشركون!؟).[1]

فالحكمة والفلسفة هنا بايلوجية علمية لغرض إدامة النسل وفق الأسس التي راعت الذكورة والأنوثة وحمل الجنين ابتداءً من مرحلة التلقيح إلى مرحلة الإخصاب والحمل ، وفي كلام الإمام عليه السلام حقائق علمية لم يدركها الناس إلى وقت قريب حتى أثبتها العلم الحديث ، ولا سيما مسألة المسؤول عن التلقيح وهل هو الذكر أم الأنثى ، وكيف أثبت الإمام عليه السلام أن ماءي الرجل والمرأة يشتركان في العملية.

سادساً : تركيب آلات الصوت وآلية عملها :

حدد الإمام عليه السلام الفلسفة التي تقوم عليها آلات الصوت مبيناً الأسباب التي تخص الآلية فيها ، فقد قال الإمام عليه السلام للمفضل(..أطل الفكر يا مفضل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت ، واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم ، ألا ترى أن من سقطت أسنانه لم يقم السين ، ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء ، ومن ثقل لسانه لم

---

(١) المفضل، التوحيد ص١٧- ١٨. ينظر المجلسي، البحار ٦٦/٣.

يفصح الراء ، وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم ، فالحنجرة تشبه قصبة المزمار ، والرئة تشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح ، والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت كالأصابع التي تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزامير والشفتان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع تختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره ألحاناً ، غير أنه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالآلة والتعريف فإن المزمار-في الحقيقة - هو المشبه بمخرج الصوت ﴾[1]

وقد تكلم الإمام عليه السلام على فلسفة تركيب أعضاء الصوت وأثرها في إحداثه وترتيبه مبيناً الفلسفة من خلال بيان هذه الوظائف التي تطابقت مع العلم الحديث[2] وكما يأتي:

العضو وشكله	فلسفة وجوده
الحنجرة وشكلها كالأنبوبة تشبه قصبة المزمار	خروج الصوت
اللسان	صياغة الحروف والنغم
الشفتان	صياغة الحروف والنغم
الأسنان	صياغة الحروف والنغم
الرئة وتشبه الزق	خروج الصوت

ويذكر الإمام عليه السلام وظائف أخرى لأعضاء الصوت التي ذكرناها ، ليؤكد أن بعض الأعضاء تتكامل فيما بينها كما أنها لا

---

(١) المفضل، التوحيد ص٢٥. ينظر ألمجلسي، البحار ٧١/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٢٠١/١.

(٢) ينظر

Robert ‹Anatomy-head and neck- p69

تقتصر على وظيفة واحدة ، لذا نجده عليه السلام قد أفصح عنها قائلاً للمفضل(.. قد أنبأتك بما في الأعضاء من الغناء في صنعة الكلام وإقامة الحروف ، وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب أخرى . فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الرئة ، فتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذي لو حبس شيئاً يسيراً لهلك الإنسان ، وباللسان تذاق الطعوم ، فيميز بينها ، ويعرف كل واحد منها حلوها من مرها وحامضها من مرها ومالحها من عذبها وطيبها من خبيثها ، وفيه مع ذلك معونة على إساغة الطعام والشراب والأسنان لمضغ الطعام حتى يلين وتسهل إساغته ، وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم واعتبر ذلك فإنك ترى من سقطت أسنانه مسترخي الشفة ومضطربها ، وبالشفتين يترشف الشراب ، حتى يكون الذي يصل إلى الجوف منه بقصد وقدر ، لا يثج ثجا ، فيغص به الشارب ، أو ينكأ في الجوف ، ثم هما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحها الإنسان إذا شاء ويطبقها إذا شاء . وفيما وصفنا من هذا بيان ، إن كل واحد من هذه الأعضاء يتصرف ، وينقسم إلى وجوه من المنافع كما تتصرف الأداة الواحدة في أعمال شتى ، وكالفأس تستعمل في النجارة والحفر وغيرهما من الأعمال).[1]

---

(١) المفضل، التوحيد ص٢٦. ينظر المجلسي، البحار ٣٢٤/٥٨، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٢٠١/١.

هذا الكلام يمثل إضافات علمية لما سبق ذكره التي قد تبدو للوهلة الأولى أنها معلومات علمية بديهية ، غير أنها بالنسبة لذلك العصر لم تكن مطروقة عن وظائف الأعضاء وإلى اليوم قد حصل اختلاف في البداية عن الأعضاء المسؤولة عن الصوت ، وما إلى ذلك ، لذا يمكن أن ندرس وظائف أعضاء الصوت الإضافية حسب كلام الإمام عليه السلام في الجدول الآتي:

العضو	وظيفته الإضافية
الحنجرة	إدخال نسيم الهواء إلى الرئة لإتمام عملية التنفس التي لولاها لهلك الإنسان.
اللسان	١- تذوق الطعام، ومعرفة الحلو والمر والمالح والحامض والعذب والطيب والخبيث ٢- المساعدة على مضغ الطعام والشراب.
الأسنان	١- مضغ الطعام حتى يلين وتسهل إساغته . ٢- هي كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم لذلك فإن من سقطت أسنانه مسترخي الشفة ومضطربها
الشفتان	١- وبالشفتين يترشف الشراب، حتى يكون الذي يصل إلى الجوف منه بقصد وقدر. ٢- هما كالباب المطبق على الفم يفتحها الإنسان إذا شاء ويطبقها إذا شاء.

سابعاً: فلسفة وجود الحواس وتكاملها:

أشار الإمام عليه السلام إلى طبيعة تلك الحواس وحاجتها إلى بيئتها فقال عليه السلام(..فجعل الحواس خمساً تلقى خمساً لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات.. فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها، لم تكن فيها منفعة. وخلق السمع ليدرك الأصوات، فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها، لم يكن فيها إرب، وكذلك سائر الحواس، ثم هذا يرجع متكافياً، فلو كان بصر ولم تكن الألوان، لما كان للبصر معنى، ولو كان سمع ولم تكن أصوات، لم يكن للسمع موضع).[1] أي أن طبيعة التكوين والتركيب تقوم في فلسفتها على الواقع والمحيط والبيئة لتتكامل الصورة.

ثامناً: الفردية والزوجية في الأعضاء المخلوقة:

أشار الإمام عليه السلام لفلسفة التركيب والتكوين الفردي والزوجي وأسبابهما فبعض الأعضاء خلقت مفردة وبعضها زوجية فكان ذلك له أسباب ذكرها الإمام عليه السلام، حينما قال للمفضل(.. فكر يا مفضل في الأعضاء التي خلقت أفراداً وأزواجاً، وما في ذلك من الحكمة والتقدير، والصواب في التدبير. فالرأس مما خلق فرداً، ولم يكن للإنسان صلاح في أن يكون له أكثر من

---

(١) المفضل، التوحيد ص٢٢. ينظر المجلسي، البحار ٦٩/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ١٧٤/١.

واحد ، ألا ترى أنه لو أضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثقلاً عليه ، من غير حاجة إليه ، لأن الحواس التي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد . ثم كان الإنسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان ، فإن تكلم من أحدهما كان الآخر معطلاً لا إرب فيه ولا حاجة إليه ، وإن تكلم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلاً لا يحتاج إليه ، وإن تكلم بأحدهما بغير الذي تكلم به من الآخر ، لم يدر السامع بأي ذلك يأخذ وأشباه هذا من الأخلاط . واليدان مما خلق أزواجاً ، ولم يكن للإنسان خير في أن يكون له يدٌ واحدةً لأن ذلك كان يخل به فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء ، ألا ترى أن النجار والبناء لو شلت إحدى يديه لا يستطيع أن يعالج صناعته ، وإن تكلف ذلك لم يحكمه ، ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت يداه تتعاونان على العمل).[1] وقد ذكر الإمام عليه السلام مثالين للعضو المفرد وهو الرأس وعضو مزدوج وهو اليدين مبيناً الآثار السلبية لانعكاس هذا الأمر وكالأتي:

١- الرأس: إذ أشار الإمام عليه السلام لفلسفة كونه عضو مفرد مبيناً آثار تعدده إذ طرحها الإمام عليه السلام بعدة جوانب:

أ- لو أضيف رأس آخر لكان ثقلاً على الإنسان دون الحاجة إليه.

---

(١) المفضل، التوحيد ص٢٤- ٢٥. ينظر المجلسي، البحار ٣/٧١.

ب- إن الإنسان سوف ينقسم قسمين لو كان له رأسان ولا تدري أيهما يتكلم وأيهما يسمع...الخ.

٢- اليدان: وهما مما خلقا زوجين ولا يمكن جعله عضواً مفرداً لأن ذلك يسبب عدم قدرة الفرد على إنجاز أعماله ومعالجة الأشياء ، وأن تعاون اليدين هو فقط الذي ينجز العمل.

تاسعاً : موقع منفذ الغائط :

لقد حدّد الإمام عليه السلام الفلسفة التي من أجلها كان موضع بعض الأعضاء بما يتوافق وسبب اختيار الموضع وغايته ، فقال عليه السلام (.. اعتبر الآن يا مفضل بعظم نعمة الإنسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الأذى . أليس من حسن التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع منها ، فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهيأ للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه ، فلم يجعله بارزاً خلفه ، ولا ناشزاً من بين يديه ، بل هو منيب في موضع غامض من البدن ، مستور محجوب ، يلتقي عليه الفخذان ، وتحجبه الآليتان بما عليهما من اللحم فتواريانه ، فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء ، وجلس تلك الجلسة ألفي ذلك المنفذ منه منصباً ، مهيأً لانحدار الثقل. فتبارك من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعماؤه).[1]

---

(١) المفضل، التوحيد ص٣١. ينظر المجلسي، البحار ٧٦/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٢٤٦/١ ، البروجردي، جامع أحاديث الشيعة ١٩٠/٢.

بيّن الإمام عليه السلام فلسفة موقع منفذ الغائط بالنسبة للإنسان التي قامت على جملة أمور:

١- أن الله تعالى جعل المنفذ في أستر موضع عند الإنسان.

٢-لم يجعل بارزاً خلف الإنسان ، ولا ناشزاً من بين يديه.

٣-وضع المنفذ في موضع غامض من البدن يلتقي عليه الفخذان.

عاشراً : عملية الهضم وتكون الدم :

وهي العملية التي أشار الإمام عليه السلام إلى فلسفتها وإلى كيفيتها حينما قال (..فكر يا مفضل في وصول الغذاء إلى البدن ، وفيه من التدبير ، فإن الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه ، وتبعث بصفوه إلى الكبد ، في عروق دقاق واشجه بينهما ، قد جعلت كالمصفى للغذاء ، لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها وذلك أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ، ثم إن الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دما ، وينفذه إلى البدن كله في مجاري مهيأة لذلك ، بمنزلة المجاري التي تهيأ للماء ليطرد في الأرض كلها وينفذ ما يخرج من الخبث والفضول إلى مفائض قد أعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى إلى المرارة وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال ، وما كان من البلة والرطوبة جرى إلى المثانة فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن ، ووضع هذه الأعضاء منه مواضعها ، وإعداد هذه الأوعية فيه ، لتحمل تلك الفضول ، لئلا

تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه ، فتبارك من أحسن التقدير ، وأحكم التدبير ، وله الحمد كما هو أهله ومستحقه).[1] وهنا حدد الإمام عليه السلام فلسفة وجود هذه العروق لحماية الكبد لأنها تحمل خلاصة الأطعمة المطبوخة في المعدة لتتحول إلى دم من الكبد[2] ، فكانت هذه الفلسفة لوجود هذه العروق والكبد والمعدة ودورها في الهضم.

حادي عشر: تنوع الأسنان:

ذكر الإمام عليه السلام فلسفة شكل بعض الأسنان وتنوعها وهي الطواحن التي وجدت لقطع الطعام ومضغه وهذا الأمر هو الذي قاله الإمام عليه السلام(فكر يا مفضل في الطواحن ، التي جعلت للإنسان ، فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه ، وبعضها عراض لمضغه ورضه ، فلم ينقص واحد الصفتين ، إذ كان محتاجاً إليهما جميعاً).[3]

ثاني عشر: طول الشعر والأظفار وقصهما:

وهي من الأمور التي عدت فلسفتها متداخلة في مجالات طبية وشرعية واجتماعية وغير ذلك إذ أن قص الشعر والأظفار يترك آثاراً

---

(١) المفضل، التوحيد ص١٩- ٢٠. ينظر ألمجلسي، البحار ٦٧/٣، المرعشي، شرح إحقاق الحق ٣٩٣/٢٨ .

(٢) ينظر هارولد.هاربر، الكيمياء الفسلجية ٥٢٠/١.

(٣) المفضل، التوحيد ص٣٢. ينظر ألمجلسي، البحار ٧٦/٣، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٢١٥/١.

إيجابية قد لا تتحقق حتى من الجانب الطبي ، إذ أن الإمام عليه السلام أخبر أن القص يخرج الأمراض فقال عليه السلام(.. تأمل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والأظفار ، فإنهما لما كانا مما يطول ويكثر ، حتى يحتاج إلى تخفيفه أولاً فأولاً ، جعلا عديما الحس ، لئلا يؤلم الإنسان الأخذ منهما. وكان قص الشعر وتقليم الأظفار مما يوجد له ألم ، وقع من ذلك بين مكروهين ، إما أن يدع كل واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه ، وأما أن يخففه بوجع وألم يتألم منه ، قال المفضل فقلت: فلما لم يجعل خلقه لا تزيد فيحتاج الإنسان إلى النقصان منه ، فقال عليه السلام: إن لله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعماً لا يعرفها ، فيحمده عليها.. إعلم أن آلام البدن وأدواءه تخرج بخروج الشعر في مسامه وبخروج الأظفار من أناملها ، ولذلك أمر الإنسان بالنورة ، وحلق الرأس ، وقص الأظفار ، في كل أسبوع ليسرع الشعر والأظفار في النبات ، فتخرج الآلام والأدواء بخروجهما... وإذا طالا تحيرا ، وقل خروجهما ، فاحتبست الآلام والأدواء في البدن فأحدثت عللاً وأوجاعاً ، ومنع-مع ذلك- الشعر من المواضع تضر بالإنسان ، وتحدث عليه الفساد والضر لو نبت الشعر في العين ، ألم يكن سيعمي البصر؟ ولو نبت في الفم ، ألم يكن سينغص على الإنسان طعامه وشرابه؟ ولو نبت في باطن الكف ، ألم يكن سيعوقه عن صحة اللمس وبعض الأعمال؟ ولو نبت في فرج المرأة وعلى ذكر الرجل ، ألم يكن سيفسد عليهما لذة الجماع؟..... فانظر كيف تنكب الشعر عن هذه المواضع ، لما في ذلك

من المصلحة، ثم ليس هذا في الإنسان فقط، بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات، فإنك ترى أجسامها مجللة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه.. فتأمل الخلقة كيف تتحرز وجوه الخطأ والمضرة، وتأتي بالصواب والمنفعة).[1] وهناك الكثير من الأسباب التي ذكرت في هذا المقام والتي عدت فلسفة لوجود الشعر والأظافر ولقصها ولوجوده في أماكن دون أخرى، وكل الأمور التي ذكرت هي في الحقيقة مقدمة لحماية الإنسان وحفظه على المستويات كافة.

ثالث عشر: فلسفة شعر الركب والإبطين:

وهو أمر يدخل مع الموضوع السابق ويشترك معه في أكثر من جانب إذ يقول الإمام عليه السلام(.. إن المنانية وأشباههم، حين أجهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا . الشعر النابت على الركب والإبطين، ولم يعلموا ذلك من رطوبة تنصب إلى هذه المواضع، فينبت الشعر كما ينبت العشب في مستنقع المياه أفلا ترى إلى هذه المواضع أستر وأهيأ لقبول تلك الفضلة من غيرها؟ ؟ .).[2] أي أن سبب وجود هذا الشعر هو لوجود رطوبة كما يصفها الإمام عليه

---

(١) المفضل، التوحيد ص٣٢ـ٣٣. ينظر المجلسي، البحار٧٥/٣، النمازي، مستدرك سفينة البحار٤١٩/٥، الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٣٠٨/١.

(٢) المفضل، التوحيد ص٣٣. ينظر المجلسي، البحار ٧٧/٣، النمازي، مستدرك سفينة البحار ٤١٩/٥ .

السلام التي إذا بقيت ربما تؤثر في الجسم ، ومن ثم فإن هناك حاجة ماسة لوجود مناطق تنصب فيها هذه الرطوبة ، ومن حكمة الله تعالى أن جعلها في الركبة والإبطين ومن ثم كان الشعر النابت تحصيل حاصل.

رابع عشر: وجود اللعاب:

وهو أمر يكاد يكون معروفاً في وقتنا الحاضر عن أثر اللعاب وفلسفة وجوده في الفم ، وهو الأمر الذي أشار له الإمام عليه السلام حينما قال(..تأمل الريق وما فيه من المنفعة ، فإنه جعل يجري جرياناً دائماً إلى الفم ، ليبل الحلق واللهوات فلا يجف ، فإن هذه المواضع لو جعلت كذلك ، كان فيه هلاك الأسنان ثم كان لا يستطيع أن يسيغ طعاماً ، إذا لم يكن في الفم بله تنفذه ، تشهد بذلك المشاهدة ، واعلم أن الرطوبة مطية الغذاء وقد تجري من هذه البله إلى مواضع أخر من المرة فيكون في ذلك صلاح تام للإنسان ، ولو يبست المرة لهلك الإنسان).[1] ونجد أن التأثير يشمل حتى الأسنان إذا لم يوجد اللعاب ومن ثم فإن فيه هلاك الإنسان نفسه.

خامس عشر: أفعال الإنسان في الطعم والنوم والجماع: يقوم هذا الأمر على أن فلسفة أفعال الإنسان في النوم والطعم والجماع إنما

---

(١) المفضل، التوحيد ص٣٤. ينظر المجلسي، البحار ٧٨/٣، النمازي، مستدرك سفينة البحار ٢٦٧/٤ ،الريشهري، موسوعة الأحاديث الطبية ٢٤٦/١.

صارت بمحرك يستثيرها وليس من تلقاء نفس الإنسان ، وهو الأمر الذي يفسر وجود الرغبة والغريزة فيها لأنه لولا ذلك المحرك لتلف الإنسان وانقطع النسل ، وهذه هي الأمور التي شملها كلام الإمام عليه السلام حينما قال(..فكر يا مفضل في الأفعال التي جعلت في الإنسان من الطعم والنوم والجماع وما دبر فيها... فإنه جعل لكل واحد منها في الطباع نفسه محرك يقتضيه ويستحث به ، فالجوع يقتضي الطعم الذي فيه راحة البدن وقوامه والكرى يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن وإجمام قواه ، والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه.. ولو كان الإنسان إنما يصير إلى أكل الطعام ، لمعرفته بحاجة بدنه إليه ، ولم يجد من طباعه شيئاً يضطره إلى ذلك ، كان خليقاً أن يتوانى عنه أحياناً بالثقل والكسل ، حتى ينحل بدنه فيهلك ، كما يحتاج الواحد الدواء لشيء مما يصلح به بدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك إلى المرض والموت ، وكذلك لو كان إنما يصير إلى النوم بالفكر في حاجته إلى راحة البدن وإجمام قواه كان عسى أن يتثاقل عن ذلك ، فيدفعه ينهك بدنه . ولو كان إنما يتحرك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه ، حتى يقل النسل أو ينقطع فإن من الناس من لا يرغب في الولد ، ولا يحفل به).[1] والملاحظ أن طبيعة التركيب اقتضت وجود القوة المحركة

(١) المفضل، التوحيد ص٣٥. ينظر المجلسي، البحار ٧٨/٣، الريشهري، موسوعة العقائد الإسلامية ١٥٠/٣.

للأفعال ويمكن تقسيم هذه القوى كما يأتي:

نوع المحرك	الطبع او الفعل
الجوع	الطعام وفيه راحة البدن وصحته.
التعب	النوم الذي فيه راحة البدن
الشبق	الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه

وقال عليه السلام أيضاً (فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الأفعال التي بها قوام الإنسان وصلاحه، محركاً من نفس الطبع يحركه لذلك، ويحدوه عليه، واعلم أن في الإنسان قوىً أربعة قوة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة، وقوة ماسكة تحبس الطعام، حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها، وقوة هاضمة، وهي التي تطبخه، وتستخرج صفوه، وتبثه في البدن، وقوة دافعة تدفعه وتحدر الثفل الفاضل، بعد أخذ الهاضمة حاجتها . . ففكر في تقدير هذه القوى الأربع التي في البدن وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها والأرب فيها، وما في ذلك من التدبير والحكمة، فلولا الجاذبة كيف كان يتحرك الإنسان لطلب الغذاء الذي به قوام البدن؟ ولولا الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف تهضمه المعدة؟ ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ويسد خلله ولولا الدافعة كيف كان الثفل الذي تخلفه الهاضمة الدافعة كيف كان الثفل الذي تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج أولاً فأولاً؟ أفلا ترى كيف وكل الله سبحانه ـ بلطف، صنعه وحسن تقديره ـ هذه القوى بالبدن، والقيام بما فيه صلاحه... وسأمثل لك في ذلك مثالاً: إن

البدن بمنزلة دار الملك ، له فيها حشم وصبية وقوام موكلون بالدار ، فواحد لقضاء حوائج الحشم وإيرادها عليهم ، وآخر لقبض ما يرد وخزنه ، إلى أن يعالج ويهيأ ، وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه ، وآخر لتنظيف ما في الدار من الأقذار وإخراجه منها ، فالملك في هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين ، والدار هي البدن ، والحشم هم الأعضاء ، والقوام هم هذه القوى الأربع . ولعلك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها — بعد الذي وصفت - فضلاً وتزدادا وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الأطباء ولا قولنا فيه كقولهم ، لأنهم ذكروها على ما يحتاج في صناعة الطب وتصحيح الأبدان ، وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغي كالذي أوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها).[1] وهذا الكلام أجل من أن يفسر ويشرح لأنه واضح وضوح العيان ، إذ نجد أن الإمام عليه السلام قد حدد المضار التي تصيب الإنسان لو لم تكن هناك قوة محركة للأفعال ، ويمكن أن نستجلي كلام الإمام عليه السلام لاستخراج هذه المضار أو الفلسفة والآثار التي وضعت القوة المحركة من أجلها وهي كما يأتي:

---

(١) المفضل، التوحيد ص٣٦. ينظر المجلسي، البحار ٧٩/٣، الريشهري، موسوعة الاحاديث الطبية ٢٤٧/١.

نوع الضرر	الآثار
أكل الطعام فقط لمعرفة حاجة البدن إليه	يتوانى عن الطعام أحياناً بالثقل والكسل، حتى ينحل بدنه فيهلك
الخلود إلى النوم فقط لمعرفة حاجة البدن اليه	يتثاقل عن ذلك، فينهك قواه حتى يموت
التحرك للجماع فقط للرغبة في الولد	غير بعيد ان يفتر عنه، حتى يقل النسل أو ينقطع فإن من الناس من لا يرغب في الولد، ولا يحفل به

سادس عشر: البلوغ وصفاته:

وقد ذكر الإمام عليه السلام فلسفة هذا الجانب البايلوجي وأسبابه أو تأثيراته ومعاينة التي وضع لأجلها وذلك بقوله عليه السلام(..لم صار الرجل والمرأة إذا أدركا تنبت لهما العانة ، ثم تنبت اللحية للرجل وتتخلف عن المرأة. لولا التدبير في ذلك ، فإنه جعل الله تبارك وتعالى الرجل قيماً ورقيباً على المرأة ، وجعل المرأة عروساً وخولاً للرجل ، أعطى الرجل اللحية ، لما له من العز والجلالة والهيبة ، ومنعها المرأة ، لتبقى لها نضارة الوجه والبهجة التي تشكل المفاكهة والمضاجعة ، أفلا ترى الخلقة وكيف تأتي بالصواب في الأشياء ، وتتخلل مواضع الخطأ فتعطي وتمنع على قدر الأرب والمصلحة بتدبير الحكيم عز وجل).[1] وصيغة هذه الفلسفة تقوم على أساس التصنيف الذي جاء به الإسلام بين الرجل والمرأة

---

(١) المفضل، التوحيد ص٤٩. ينظر ألمجلسي، البحار ٨٩/٣.

والتصنيف لا يعني مفاضلة وإنما هو أمر يتعلق بطبيعة التركيب والعاطفة والدور في المجتمع ، فكانت هذه الفلسفة تقدم المرأة في النضارة والبهجة حتى يكون أثر لذلك في دوام النسل وفي الوقت نفسه فأنها تقدم الرجل في القوة والقيمومة على المرأة ، ومن هنا كانت اللحية تمثل الرجولة والبهجة والنضارة تمثل المرأة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأردبيلي، محمد بن علي ت١١٠١هـ

أنباء الرواة، طهران، د.ت.

الأصفهاني ،ميرزا محمد تقي

- مكيال المكارم،تحقيق: السيد علي عاشور، الطبعة: الأولى، بيروت، ١٤٢١.

البروجردي، السيد

- جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩هـ.

التفرشي، السيد مصطفى عبد الحسين ت القرن الحادي عشر

- نقد الرجال، تحقيق مؤسسة أهل البيت، قم ١٣٧٦.

الجزائري، السيد نعمة الله ت١١١٢هـ

- النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، منشورات الشريف الرضي،قم،د.ت.

الحر العاملي: محمد بن الحسن، ت: ١١٠٤هـ - ١٦٩٢م

- وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لأحياء التراث العربي، ط٢، مطبعة مهر، (قم - ١٤١٤هـ) .

حنون، د.مقيد

- أساسيات علم وظائف الأعضاء، ط١، عمان، ١٩٩٩ .

الحويزي، الشيخ عبد علي جمعة العروسي، ت ١١١٢هـ - ١٧٠٠م .

- تفسير نور الثقلين، تحقيق: السيد هاشم الرسولي، ط٤، مؤسسة إسماعيليان، (قم، ١٤١٢).

الخوئي، أبي القاسم

- معجم رجال الحديث، ط٥، لبنان، ١٩٩٢.

- الريشيهري، محمد

- موسوعة العقائد الإسلامية، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، ط١، (قم، ١٤٢٥).

- موسوعة الأحاديث الطبية، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث ، الطبعة: الأولى ،دار الحديث، طهران، ١٤٢٥ .

سراج، د.حميد

- الفكر الاختباري في نهج البلاغة، ط١،(بيروت – ٢٠١٢).

- فلسفة النبوة وأبعاد حياة الأنبياء الاجتماعية في نهج البلاغة، مجلة مركز دراسات الكوفة، عدد خاص بوقائع مؤتمر نهج البلاغة٢٠١٢.

- المنظومة البيئية وثقافة الحفاظ عليها في فكر أئمة أهل البيت عليهم السلام، بحث مقدم في مؤتمر البيئة، وزارة البيئة ٢٠١٤.

الشاكري،حسين

- موسوعة المصطفى والعترة، ط١ قم، ١٤١٧.

ابن شهراشوب، ت٥٨٨هـ.

- مناقب آل ابي طالب، المكتبة الحيدرية،النجف ،١٩٥٦.

الصدر، محمد باقر

- فلسفتنا ، بيروت، د.ت.

الصدوق، الشيخ ت٣٨١هـ.

- علل الشرائع، بيروت ،١٩٦٦.

الطبرسي، ابو منصور احمد بن علي ت ٥٤٨.

- الاحتجاج، النجف ١٩٦٦.

الطريحي، الشيخ، ت ١٠٨٥هـ.

- مجمع البحرين، تحقيق: السيد أحمد الحسيني ،الطبعة: الثانية، طهران، ١٤٠٨.

عبدالله، د. نور الدين

- فيزياء البصريات والكهربائية، ط٧، بغداد، ١٩٧٧م.

غالي، د. محمد عبد المهدي

- التشريح المقارن للحبليات، دار الكتاب، بغداد، ٢٠٠٢م.

الفاضل،دار

- الإمام الصادق، وعلماء الغرب، ترجمة د.نور الدين ال علي، دمشق ،١٩٩٥.

الفيض الكاشاني: المولى محمد محسن: ١٠٩١هـ - ١٦٨٠م

- الاصفي في تفسير القران، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية،ط١ ،مطبعة مكتب الأعلام الإسلامي،(د م، ١٤١٨هـ).

الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي، ت: ٣٢٩هـ - ٩٤٠م

- الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٣، مطبعة الحيدري، (طهران – ١٣٨٨هـ).

لجنة

- علم الحيوان العام، وزارة التعليم العالي، بغداد، د.ت .

ألمجلسي، محمد باقر محمد تقي، ت: ١١١١هـ

- بحار الأنوار الجامعة لدور أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، مؤسسة الوفاء، (بيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م).

المرعشي، السيد

- شرح إحقاق الحق، تحقيق: تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي / تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي، قم، د.ت.

مركز المصطفى

- الهداية والإضلال، طهران، د.ت.

مغنية، محمد جواد

- في ظلال نهج البلاغة، قم – ١٤٢٨ .

المفضل: عمر الجعفي، ت: ١٦٠هـ .

- التوحيد، تحقيق: كاظم المظفر، ط٢، مؤسسة الوفاء، (بيروت، ١٤٠٤هـ).

النمازي، الشيخ علي، ت: ١٤٠٥هـ .

- مستدرك سفينة البحار، تحقيق: الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، (د.م، ١٤١٨هـ).

هاربر، هارولد

- الكيمياء الفسلجية، ترجمة أعضاء هيئة مدرسي كلية الطب، ط١، بغداد، ١٩٨٦م .

Guyton . Arther

Physiology. Med . Encyclopedia. London. No.Date.

Robert . Troyer

Anatomy. Head And Neck. Med. . Encyclopedia. London. No.Date .

Anatomy . Thorax. . Med . Encyclopedia . London . No.Date

الفهرس

يحمل هذا الكتاب أهدافا" دينية (اثباتية ووعظية) وعلمية (فلسفة الظاهرة) فهو يدرس فلسفة الظواهر العلمية (سببها وهدفها) سواء كانت الكونية والجغرافية أم البايلوجية وما يتعلق بطبيعة الخلقة الإنسانية، وما يرتبط بذلك من إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، من بيان ذلك الترابط والتوازن في هذه الظواهر وفق الأسباب أو الفلسفة المكونة والراعية لها التي بينّها الإمام الصادق عليه السلام، فضلاً عن الهدف الوعظي الخاص لفلسفة كل ظاهرة والهدف العام للظواهر بشكلها الإجمالي وطبيعة تركيبها وعملها، ومن كل ذلك فأن النتيجة العلمية والطرح الخاص ببيان الطبيعة التطبيقية لتلك الظواهر هما اللذان أفصحا عن الناحية العلمية في فكر الإمام الصادق عليه السلام وجميع متعلقاتها.





تموز للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق/ جوال: 0963944628570
Email: akramaleshi@gmail.com